رسالة

إلى كل من يؤمن بعيسى

- عليه السلام -

بقلم

أبي عبد الملك وليد بن فهد الودعاني

المقدمة

بسم الله الحق الودود الرحيم، اللهم إني أحمدك على وافر نعمتك وجزيل هباتك، وأشهد أنك أنت الإله الحق، وأشهد أن أنبيائك ورسلك قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، فصلى الله عليهم وعلى آلهم وسلم.

وبعد:

فيا أيها الإنسان الذي امتن الله عليه بنعمة العقل، وفضله على غيره من المخلوقات بنعمة التفكير إن مما لا شك فيه ولا يمكن لعقل أن يمتري فيه ما يعاني منه العالم من مشكلات معضلة بالرغم من التقدم المادي والحضاري اللذين يوفران للفرد المتعة والرفاهية، تلك المعضلات التي أصبحت من سمات العصر، ومن إفرازات الحضارة الحديثة التي أثقلت كاهل الإنسانية بالأمراض الدائمة والتعارضات الفكرية، بل وقلبت المفاهيم وحاربت القيم، فأصبح العالم بلا قيم يتعارف عليها أو أصول يستند إليها، فالقيم الإنسانية تحتضر أمام المادة وحِدَّة الإلحاد الفكري.

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل انتشرت الجرائم بأنواعها، وانعدمت الأخلاق بأشكالها، وعمَّ الظلم بكل صوره، والانحلال بكل أوضاعه، واستعبد الغنيُ الفقير، واستُبدل الإيمان بالإلحاد باسم اللادينية، وازدادت الأنانية والفردية، فلا يهتم الفرد إلا بنفسه، ولا يهتم بغيره إلا بقدر ما ينفعه، وانهدمت الأسس الاجتماعية بسبب فساد الأسرة وتقويض بنيانها، وانتشرت الخيانات الزوجية، واستبيح الزنا باسم الحرية الشخصية.

ومن جراء ذلك توالت الفتن والبلايا والمحن على الأفراد، وكثر القلق في المجتمعات، فأصبح داءً عضالاً وانتشر انتشاراً مذهلاً، وما الإغراق الشديد في المتعة الجنسية إلا إفراز نابع من الهروب من داء القلق والحيرة والاضطراب، وما ازدياد أعداد مدمني الخمور والمخدرات إلا ثمرة لغياب الطريق الرشيد لتحصيل السعادة ومحاولة للبعد عن أسئلة الفطرة واستنكارات العقل، وما تدافع المجتمعات نحو الانتحار – حتى أصبح السبب الثاني للموت في العالم، وذكرت التقارير أن شخصاً على الأقل ينتحر كل (١٠٠) دقيقة، وأن في فرنسا فقط اثني عشر ألفاً يقتلون أنفسهم كل عام، ومائة وستون ألفاً يحاولون الانتحار فيخفقون – ما ذلك إلا من جراء إخفاق الفرد في الجواب عن أسئلة ذهنه الحائرة، وفي معرفة الهدف من وجوده، وما هو الشيء الذي يمكن أن يملأ وجدانه سعادةً وسمواً ذلك أن فطرة الإنسان تلح بالأسئلة عليه، لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وما وجه سيرنا؟ وما هو مستقبلنا؟.

إن الحياة المادية لا تقدم للإنسان حلاً، بل إنها لتغرق الإنسان في مجموعة من الظنون الهاوية والافتراضات الجرداء التي لا تقنع عقله ولا تروي غليله، فيبقى الإنسان في ضل هذه الحياة في لغز الحياة المحير ويبقى معذباً مضطرباً.

وإذا كانت زحمة الحياة المادية والسير اللاهث خلف المادة قد يصرف الإنسان أحياناً عن التفكير في ذلك إلا أن الإنسان قد يصطدم في مجريات حياته بمواقف تهز كيانه ووجدانه وتحمله قسراً على التفكير بالجواب المقنع، فالكوارث والأمراض، وفقد الآخرين بالموت، والمصائب المتنوعة قد تحمله على التفكير في الواقع والمستقبل الذي يعيشه والذي ينبغي أن يعيشه، وإن ترك الناس في مثل هذا المستنقع الآسن وبأيدي عبيد الشهرة والمادة ليؤدي بالمجتمعات إلى هوة سحيقة وجرف بعيد القاع، وإن هذا الانجراف ليأخذ في طياته الأخضر واليابس.

ولذا فهذه دعوة للتأمل ووقفة للتفكير في حل هذا المأزق الحرج، ولا أظن الإنسان العاقل إلا ليضعن يده على يد كل داعية إلى هذا الموقف الرشيد، وكيف لا وهو سبيل النجاة وطريق الراحة والسعادة، ومن هو الذي لا يريد السعادة وكل فرد في العالم يسعى إلى تحصيلها، ويبذل في سبيلها كل غالٍ ونفيس، ولكل منهم وجهة هو موليها.

إن الجواب على هذا السؤال المهم: ما هو الحل؟ لابد أن يكون مصلحاً لفساد الفرد والمجتمع إذ لا يكون المخرج من هذه الأزمة إلا بذلك، وبأي شيء يكون صلاح الفرد والمجتمع؟.

إن المال قد جربه كثير من الأغنياء فلم يعرفوا به طريق السعادة ، إن طريق المتعة الجنسية قد سلكه كثير من الناس بغية السعادة فلم يصلوا إليها، إن الخمر والإدمان قد سلكهما الكثير فلم ينجهم ذلك من الانتحار، إن السياسة قد سلكها الكثير فلم يفلحوا، فبأي شيء إذاً تكون السعادة ويكون الصلاح؟.

إنه بملء الروح والوجدان بالاعتقاد الحق والدين الحق الذي تطمئن إليه النفوس ويزول بوصل حبله القلق والاضطراب والحيرة.

نعم بالدين الحق ينعم الفرد ويزول القلق لا بالمهدئات والمسكنات، ولا بإشباع الرغبات واللذات.

نعم بالدين الحق يسعد المجتمع وتزول عنه علامات الانهيار لا بالقوة العسكرية وحدها، أو بالموارد الاقتصادية وحدها، الدين الحق هو منقذ البشرية وهو الموقظ لها من سباتها.

ولكن سؤالاً هاماً يفرض نفسه هنا – وهو من مكملات بيان العلاج – ما هو الدين الحق الذي يمكن أن ينقذ البشرية؟.

إنها دعوة إلى التفكير العميق في جواب هذا السؤال، إن جواب هذا السؤال لهو أفضل ما تصرف فيه الأنظار وتبذل فيه المهج والأموال، أوليس الدين الذي به النجاة والسعادة أولى بالتفكير من تحصيل الزوجة أو كسب التجارة ألا ترى أن تلك الأمور تستغرق منا في التفكير وقتاً طويلاً ألا يكون الدين أولى به منها.

إن كل إنسان عاقل يحترم عقله ويؤمن بحريته ليحب الحق لما يرجو به من السعادة الدينية والدنيوية والنجـــاة في الأولى والآخرة، بل إنه ليحب إسعاد الآخرين ودعوهم إلى النجاة والاطمئنان، أوليس ذلك هو فائدة العقل، نعم إن فائدة العقل هي أن يعترف بالحق ويعمل به، وأعقل الناس أعمقهم معرفة بالحق وأقدرهم على العمـــل بـــه، وأرذل الناس أقلهم معرفة بالحق وأعجزهم عن العمل به، أما دعوى الإيمان بالدين بلا فهم ولو كان هذا الدين مخالفاً لبدهيات العقل فهي مغالطة للحقائق.

ولذا فإني أوجه هذا النداء لكل من يؤمن بالعقل، إلى من غزى العالم بعلمه، وتحدى الصعاب بمخترعاته، ومازال يتحف العالم بمكتشفاته أن يحكِّم عقله، ولا يضع عقله في عقول صغيرة ساذجة، أو انتهازية ظالمة، وليبحث عن الحق الذي تسكن إليه النفوس المضطربة، وترتوي منه القلوب المتعطشة، ولكن لست أعني تلك السكينة التخيلية التي يخيلها الشيطان ليصرف بها الناس عن السكينة الحقيقية، إنما أعني السكينة الموافقة للعقل والمنطق، فلا خير في دين ولا سكينة مخالفه لبدهيات العقل وأصوله.

ودعنا نتفق على تقصية المؤثرات الجانبية والعواطف الشخصية، ولنفرغ ذواتنا من كل مؤثر، ولنترك هذه الدنيا الصاخبة بكل ما فيها، لنترك آراء الناس وأنظارهم جانباً ولو كانوا أعلم منا؛ لأن كل شخص منا مأمور من قبل الرب بتربية نفسه وإنقاذها من العذاب الدنيوي والجحيم الأخروي بل ولنترك المـــؤثرات الإعلاميـــة جانبـــاً، والتعصب للموروثات جانباً، ولنطلق الزمام لعقولنا، ولنجعل النور هدفنا، والحق غايتنا، والإيمان بالرب الحـــق مقصدنا، والعقل دليلنا، وإن كان في ذلك إغضاب لأنفسنا أو لأهلينا أو للناس أجمعين، ولنتعرف على الحق من مصادره الأصلية دون نظر إلى واقع الناس ومدى عملهم به، فقليل من أهل الأديان من يطبق دينه كما ينبغـــي، ولا أظن أن الإنسان العاقل يخالف فيما دعوت إليه؛ إذ هي دعوة مبنية على أبسط قواعد العدل والإنصاف.

وإذا اتفقنا على ذلك فلتضع يدك على يدي ولنتقدم سوياً للحَكَم بيننا وهو العقل، والعهد بيننا أن نتبع الحق أياً كان صاحبه، ولنرفع أيدينا مبتهلين داعين الرب أن يوفقنا للوصول إليه.



هل للكون إله؟

إن الكون ليبهر كل ناظر أو متأمل فيه، بل وكل من يعيش فيه بدقة انتظامه، وبديع اتساقه، وإبداع جماله.

نعم الكون منتظم في مسيره، فلا ترى الليل يسبق النهار، ولا النهار يسبق الليل، ولا ترى الشمس تسبق وقت خروجها، ولا القمر وقت بزوغه، ولا ترى الأجرام تصطك ببعضها، بل تراها تمشي في مجاريها من غير حيدة عنها، والكون متسق في تراكيبه، فالضوء بقدر، والهواء بقدر، ولو زادت حرارة الشمس لأحرقت كل شئ.

والكون بديع وجميل ألا ترى الوهاد الخضراء، و السهول الغناء، والأشجار والأزهار، وغير ذلك من صنوف الجمال.

هذا الكون بأجرامه العظيمة من أوجده؟.

ومن أين أتى، ومتى؟هل أوجد نفسه؟ أو أوجدته الصدفة؟.

أيمكن أن يكون هذا الكون موجوداً صدفة، أو أن الطبيعة أوجدته؟.

أيمكن أن يصدق ذلك الإنسان العاقل المتحرر؟ ألا ترى أن تصديق ذلك معناه استغفال العقل ومراوغته؟.

إن من بدهيات المعرفة أن لكل موجود موجِدا، وإن القول بأن الكون موجود صدفة أو أن الطبيعة أوجدته لبعيد كل البعد عن العقل، وكيف لا يكون بعيداً عن المعقولية وأنت لو قيل لك إن هذه الآلة الكهربائية، أو السيارة الجديدة وجدت صدفة أو أوجدتها الطبيعة، لعددت ذلك ضرباً من الجنون، وصنفاً من الخبال، وحق لك ذلك.

إذاً العقل يثبت أن لهذا الكون موجِداً وخالقاً وصانعاً، بل ولا يمكن أن يكون ذلك الإله إلهاً ضعيفاً أو عديم القدرة؛ لأن العقل يدلنا أن من خلق هذا الكون العظيم لا ينبغي إلا أن يكون عظيماً حكيماً قديراً.



لماذا وجدنا؟

إن مما لا يختلف فيه أحد أن من العلوم النافعة المعروفة علم منافع الأعضاء، وهو علم يبحث في فائدة العضو والهدف من وجوده، فاليد لها فائدة وهدف من وجودها، والقدم كذلك، والمخ كذلك، واللسان كذلك، وهكذا بقية الأعضاء.

فإذا كان لكل عضو في الإنسان هدف من وجوده فما الهدف من وجود الإنسان بكله؟أيعقل أن لا يكون له هدف في هذه الحياة، أيعقل أن يكون لتراكيبه هدف ولا يكون له بمجموعه هدف؟.

اعتقد أنك توافقني على هذا التعجب، وحينئذ فإننا نتفق على أن الإنسان لم يخلق بلا هدف، ولذا كان القول بأن الإنسان لا هدف له في هذه الحياة أعظم تجنٍ على البشرية جمعاء.

إذاً ما هو الهدف من خلق الإنسان ووجوده؟ أيمكن أن يكون الهدف من خلقه هو أن ينتفع به خالقه؟، كلا والله؛ فليس الغني بحاجة إلى الفقير، وليس القدير بحاجة إلى العديم.

أيمكن أن يكون مخلوقاً لإمتاع نفسه وإشباع رغباته فيكون بذلك كالبهيمة، بل إن البهيمة أرقى منه حالاً فهي ينتفع بها في مجالات شتى.

إذاً لماذا خلق؟.

هب أنك استأجرت خادماً لك ألأجل ماذا تستأجره؟ أليس لأجل أن يطيعك فيما تأمره وتنهاه، وأن يخدمك فيما تحتاج فيه إليه.

وإذا كنا قد اتفقنا على أن الغني وهو الله لا يحتاج إلى الإنسان الفقير، فلم يبق إلا أن يكون قد خلقه لطاعته وعبادته وطاعة أمره والانتهاء عن نهيه ليحق له بذلك أن يكافئه ويعطيه أجر عمله.



حقيقة الإله الحق

دل العقل على أن للكون إلها حكيما قديرا قويا غنيا، فمن هو إله الكون؟.

إن من يجيل النظر في هذا الكون البديع ليدرك إدراكا تاما انتظام المخلوقات وفق سنن ثابتة مطردة، فهو كما يظهر جليا في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام؛إذ لا ترى فيه عيبا ولا خلالا ولا ممانعة ولا معارضة.

وإذا تأمل القارئ السوي ذلك حق التأمل فليطرح على نفسه تساؤلا مهما، وهو: هل يمكن أن يكون لهذا الكون إلهان وربان أو أن يكون له مجموعة من الآلهة والأرباب في آن واحد مع أن الكون في هذا الانتظام البديع والكمال في الخلق والصنع؟.

إن الإنسان السوي لا يمكنه أن يجيب بأن ذلك ممكن؛لأنه يلزم من تعدد الأرباب اختلاف اراداتهم في تدبير المخلوقات، وهذا يستلزم فساد العالم، ولا يمكن أن يقال إن إراداتهم متفقة في كل شيء بحيث لا يحصل الاضطراب في انتظام المخلوقات.

ثم لو كان مع الإله الحق إله آخر فماذا سيحصل؟.

إما أن ينفرد كل خالق بما خلق، ويلزم من ذلك ألا يكون له تأثير في خلق الآخر ولا قدرة ولا تدبير، وهذا نقص وعجز.

أو أن تتغالب الآلهة فيحاول كل إله أن يستعلي على غيره، وحينئذ يغلب القوي الضعيف؛لأن القوي لا يرضى أن يعلوه غيره والضعيف لا يستحق أن يكون إلها، وفي أثناء ذلك لا بد وأن يكون الكون ميدانا لصراع طاحن بين الآلهة المتناحرة.

ولذا أيها الإنسان السوي إن من تأمل انتظام الكون المستقر وأحداثه المنسقة وسيره المنتظم ليجد أن الكون بما فيه يشهد شهادة لا مراء فيها بأنه تحت نفوذ إرادة واحدة وتحت تصرف حاكم واحد، فهو المتفرد بالألوهية والربوبية لا يغالب ولا يقهر ولا ينازع ولا يضارع، فهو ذو الإرادة المتفردة النافذة وذو القدرة والتمكين له الخلق كله والأمر كله والتدبير كله.

وإن هذا الذي يثبته كل إنسان سوي هو ما يشهد به الكتاب المقدس، فهذا هو عيسى عليه السلام يقول وقد تقدم له أحدهم فقال: (أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية، ولكن يسوع قال له: لماذا تدعوني الصالح؟ وليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله) [مرقس ١٠/١٧-١٨].

وقال:(أيها الأب قد حانت الساعة! مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا، فقد أوليته السلطة على جميع البشر ليمنح جميع الذين قد وهبتهم له الحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحق وحدك، والذي أرسلته يسوع المسيح). [يوحنا ١٧/١-٤].

وقال لتلاميذه الذين أرسلهم:(من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني) [متى١٠/٤٠].

وقال:(أولى الوصايا جميعا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) [مرقس ١٢/٢٩].

فعيسى عليه السلام – كما ترى هنا – يخبر أن الإله واحد فقط.

وإذا اتضح لك ذلك فلندع الكنيسة تجيبنا عن هذا السؤال العظيم.

إن الكنيسة تجيبنا عن هذا السؤال العظيم – كما جاء في تقرير مؤتمر الكنائس العالمي – بقولها إن الأب إله، وإن الابن إله، وإن الروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهه بل هم إله واحد، والأب قادر، والابن قادر، وروح القدس قادر، ولكنهم ليسوا ثلاثة قادرين بل هم قادر واحد.

إذاً الكون له إله واحد وهو مجموع من ثلاثة: الله وهو الأب، وعيسى وهو الابن، وروح القدس وكل واحد من هذه الآلهة قادر ومتميز عن غيره.

أيها القارئ يا من يؤمن بعيسى عليه السلام إذا أبعدنا مؤثرات الوجدان وتحاكمنا إلى العقل السوي فلنتأمل سويا: أيعقل أن يكون الآلهة ثلاثة في واحد وكلهم متميز عن الآخر، أيعقل أن تكون أنت ووالدك وأخوك شخصا واحدا؟!.

ثم لو كان ذلك صحيحاً فهل يمكن أن يستقيم نظام هذا الكون بوجود ثلاثة آلهة، ألا ترى أن الدولة لا تستقيم أمورها بثلاثة رؤساء لكل منهم رأيه ونظره فكيف بهذا الكون العظيم؟ولا ينبغي أن يقال كما قال بعضهم عن ذلك في جواب له عن: هل المسيحيون موحدون أم مشركون؟حيث قال:(القاعدة المتبعة هنا هي ١×١ =١، وليست ١+١=٢ وهكذا أيضاً روح القدس والأب والابن هم ١× ١ × ١=١، فلا يقال إن واحدا سابق للواحد الآخر، أو تسبب في وجوده وذلك لأن الرب الإله هو واحد أزلي وأبدي وسرمدي).

هل فلسفة الإله فلسفة غير مفهومه؟ وهل هي معادلة حسابية؟ وما الذي جعلها بالضرب دون الزائد؟ ثم إذا كان لا يقال إن واحداً منهم سابق للآخر فكيف يكون أحدهما أباً والآخر ابناً؟.

ثم إني أتساءل ولكل صاحب عقل سوي أن يحكِّم عقله أهذا يتوافق مع ما أخبر به عيسى عليه السلام من أن الإله واحد كما سبق نقله عنه فكيف بنا نقول إنه ثلاثة، ثم نحسِّن ذلك بقول مخالف للعقل السوي حيث نقول إن الثلاثة واحد، ثم ألا ترى أن مثل هذا القول الذي هو بيان لحقيقة الإله الأعظم كان ينبغي أن يوضحه

الكتاب المقدس ويبينه بياناً واضحاً ألا تراه قد وضح أموراً هي أقل شأناً من هذا فلماذا لم يوضح هـــذا الأمـــر العظيم أتم إيضاح وأبينه؟.

أما في الإسلام فالإله واحد لا غير وقد بين ذلك القرآن أتم بيان ففيه: {قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد و لم يولد (٣) و لم يكن له كفواً أحد(٤)}، أي إن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته لا مثيل له ولا ند لـــه ولا شبيه له، وهو الذي تحتاج إليه جميع الخلائق ولا يحتاج إليها، وهو الذي تتره عن الوالد والولد.

فلا إله لهذا الكون ولا خالق له إلا الله وهو واحد قدير، لا ينازعه أحد في ملكه أو في قدرته، وقد ذكرالقـــرآن لألوهية الله وانفراده أدلة كثيرة وعظيمة، ومنها قوله:{لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا}، أي لـــو كـــان في السماء والأرض آلهة إلا الله لاختصما وتنازعا، ولكان في ذلك فساد الكون، قال تعالى:{ما اتخذ الله من ولـــد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون}.

ولا شك أن ذلك موافق للفطرة، ألا ترى أن الدولة والمصنع والبيت لا يستقيم واحد منها بدون رئيس واحـــد فكيف بهذا الكون العظيم ولله المثل الأعلى.

فتأمل وتدبر ياصاحب العقل السوي أي القولين أحق بالصواب وأوفق للفطرة؟.



صفات الإله الحق

لا شك أن المؤمن بوجود الإله الحق يحمل في قلبه التعظيم المطلق للخالق الذي أنعم عليه ووهبه وتكـرم عليـه وتفضل، وأوجده من العدم ورباه بعد ذلك ووالى عليه نعمه، ولا يمكن لقلب مؤمن محب للإله إلا أن يحمل في تصوره لصفات الإله إلا صفات القوة والعظمة.

وقد حوى الكتاب المقدس بعهديه صفات كثيرة عن الإله هي في منتهى الصدق والحق، ولن أحيلك عليها؛ لأن ذلك منثور فيه بوضوح، ومن ذلك وصفه بأنه الرب الملك القادر القدير الحي ذو الرحمة، المحب لعباده، المستطيع لكل شئ إلى غير ذلك من الصفات التي لا يخالف فيها إنسان عاقل يحترم فطرته، غير أنه في المقابـل يتـضمن صفات أعرضها عليك، ثم نرى ما موقف العقل منها:

_ الله يندم [صموئيل الأول ١٥ / ١١].

_ الله يستريح [تكوين ٢ / ٢].

_ الله يحزن [تكوين ٦ / ٥ – ٦].

_ الله يزأر كالأسد [ارميا ٢٥: ٣٠].

_ الله يستيقظ من رقدته [مزامير ٧٨ / ٦٥].

_ وبما أن عيسى عليه السلام هو الإله فمن أوصافه:

_ أنه ختن وحبل به [لوقا ٢: ٢١].

_ أنه مات ثم قام [متى ٢٧:٥٠، ٢٨:٦].

_ أنه يأكل ويشرب [متى ١١: ١٩].

_ أنه يعطش[يوحنا ١٩: ٢٨].

_ أنه يبكي [يوحنا ١١: ٣٥].

هذا من جملة ما حواه الكتاب المقدس عن صفات الله ولباحث الحق أن يتأملها قليلاً ثم يجيب عن هذه التساؤلات:

- ألسنا نتفق على أن الله هو عالم الغيب فكيف يخلق ما سوف يندم عليه؟، أليس الندم وما يتبعه من الحزن صفة نقص في البشر فكيف بالله رب البشر؟، كيف وقد جاء في الكتاب المقدس: (ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم) [عدد ٢٣: ١٩].

ـ أليست الاستراحة من صفات النقص؟، فكيف يوصف بها من إذا قال للشيء كن فإنه لا يـبرح أن يكـون بمشيئته وإرادته النافذة؟.

ـ أليس الله هو الحي؟ إذاً كيف يستيقظ من رقدته؟، ومن يهتم بالعالم أثناء ذلك؟.

أما ما بعد ذلك من الصفات التي وصف بها عيسى عليه السلام فإني أرجئ الحديث عنها إلى المبحث القادم[1].

أما الإسلام فإنه يصف الإله بأنه الأحد الفرد الذي لا شريك له في ملكه ولا ند له ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا شفيع إلا من بعد إذنه، وأنه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا ند، وأنه الغني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شيء مطلقاً، وأنه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والنوم والنسيان والندم والخـوف، وأنه لا يماثل مخلوقاته بل ليس كمثله شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها، وأنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، عالٍ على كل شيء، ولـيس فوقه شيء، قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، عالم بكل شيء السر وأخفى وما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وله الكمال المطلق والعدل المطلق، فلا يعتريه نقص من إي وجه كان.

{الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة[2] ولا نوم له ما في السموت وما في الأرض من ذا الـذي يـشفع عنده إلا بأذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه الـسموت والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم}، {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مـا في الـبر والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مـبين}، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سـبحان الله عمـا يشركون (٢٣) هو الله الخلق البارئ المصور له الأسماء الحسنىيسبح له ما في السموت والأرض وهـو العزيـز الحكيم (٢٤)}.

ولكل عاقل سوي أن يسأل نفسه بعد ذلك أي الطريقين أحق بتعظيم الخالق؟!.



(١) انظر ص( ).

(٢) أي نعاس.

حقيقة يسوع عليه السلام

ترى الكنيسة أن عيسى عليه السلام هو الإله الذي جاء لينقذ البشرية ويخلصها من آثامها.

جاء في لوقا[٢٤:٤٦-٤٧]:(وقال لهم:هكذا قد كتب، وهكذا كان لا بد أن يتألم المسيح ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وأن يبشر باسمه بالتوبة وغفران الخطايا في جميع الأمم انطلاقا من أورشليم).

وقال بولس في الرسالة إلى مؤمني روما[٣:٢٣-٢٦] - وقد أطال تقرير المسألة في هذه الرسالة -:(الجميع قد أخطأوا وهم عاجزون عن بلوغ ما يمجد الله، فهم يبرَّرون مجانا بنعمته بالفداء بالمسيح يسوع الذي قدمه الله كفارة عن طريق الإيمان، وذلك بدمه ليظهر بر الله إذ تغاضى بإمهاله الإلهي عن الخطايا التي حدثت في الماضي، ويظهر أيضا بره في الزمن الحاضر، فيتبين أنه بار وأنه يبرِّر من له الإيمان بيسوع).

وإلى القارئ السوي هذه النصوص من الكتاب المقدس ليعمل فيها عقله:

- (ولكن يسوع قال له تدعوني الصالح؟، وليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله) [مرقس ١٠/١٨].
- (أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي، وقد علمت أنك دوما تسمع لي، ولكني قلت هذا لأجلالجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنك أنت أرسلتني) [يوحنا١١:٤١ -٤٢].
- ومن قول بطرس: (يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام إن يسوع الناصري رجل أيده الله بمعجزات وعجائب وعلامات أجراها الله على يده بينكم كما تعلمون) [أعمال الرسل ٢/٢٢].
- ومن قول كليوباس:(ما حدث ليسوع الناصري الذي كان نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله والشعب كله)[لوقا٢٤/١٩].
- (فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئا من تلقاء نفسه)[يوحنا ٥ /١٩].
- (الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني تكون له الحياة الأبدية ولا يحاكم في اليوم الآخر)[يوحنا٥/٢٤].
- (أنا لا يمكن أن أفعل شيئا من تلقاء ذاتي، بل أحكم حسبما أسمع وحكمي عادل؛لأني لا أسعى لتحقيق إرادتي بل إرادة الذي أرسلني)[يوحنا٥/٣٠].
- (والأب الذي أرسلني هو نفسه أيضا يشهد لي)[يوحنا ٥/٣٧].
- (ومجدوا الله قائلين:قد قام فينا نبي عظيم، وتفقد الله شعبه)[لوقا ٧/١٦].

وقد ذكر الكتاب المقدس عن عيسى عليه السلام أنه حبلت به أمه وختن بعد أسبوع من ولادته[لوقا٢: ٢١]، وأنه يحتاج للطعام والشراب [متى ١١: ١٩]، وأنه يعطش [يوحنا١٩: ٢٨]، وأنه يبكي [يوحنا ١١: ٣٥]، وأنه يصلي ويتضرع(متى ٢٦:٣٦-٣٩، لوقا ٢٢:٤١-٤٤).

إذا قرأت هذه النصوص فتأمل:

- أيمكن أن يكون عيسى عليه السلام إلهاً وهو قد نص بنفسه أنه رسول؟.

- أيمكن أن يكون إلها وهو رجل ونبي كما نص عليه بطرس وغيره؟.

- أيمكن أن يكون إلها وهو يدخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتتبول وتتغوط وتحيض فيلتحم ببطنها، ويقيم فيه مدة بين الدم وغيره، ثم يخرج إلى العالم يبكي ويرضع.

- أيمكن أن يكون إلهاً وهو لا يعد نفسه صالحاً، والصالح إنما هو الإله الأعظم الإله الحقيقي؟.

- أيمكن أن يكون إلهاً وهو يدعو ويستغيث بغيره؟.

- أيمكن أن يكون إلهاً وهو قد شهد على نفسه أنه لا يقدر على شئ من تلقاء نفسه؟.

- أيمكن أن يكون إلها وقد ذكر أن له إرادة تخالف إرادة من أرسله، بل هي دونها، ثم كيف نثبت أن الأب والابن شيء واحد مع أن لكل منهما إرادة خاصة وإرادة الابن أقل من إرادة الأب؟.

وأيضاً هاأنا ذا أسأل كل إنسان سوي:

أيمكن أن يكون الإله في رحم امرأة؟، أو يختن بعد ولادته؟، أو أن يحتاج للطعام والشراب وهو القادر بل كل الملك بيده؟، ثم هل يمكن أن يموت الإله، أو أن يبكي ويصرخ، أو أن يصلي؟، ثم إن صلى فلمن يصلي؟ أيعقل أن يصلي ناسوته للاهوته؟ أوكل ذلك يليق بالإله الأعظم؟.

ثم إن عيسى عليه السلام قد مات – كما تقول الكنيسة – ثلاثة أيام بعد صلبه[انظر متى الإصحاحين ٢٧و٢٨]، فاسأل نفسك أيموت الإله؟، ثم إن كان قد مات فمن هو الذي اهتم بالعالم حال موته، ثم كيف يموت والكتاب المقدس قد شهد أن الإله لا يموت ولا يفنى[الحقوق ١: ١٢، الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ١: ١٧].

ثم إن عيسى عليه السلام قد صلب، فاسأل نفسك أيعقل أن يصلب الإله وأن يبكي ويسأل ويتضرع حتى لا يصلب [لوقا٢٢:٤٠-٤٤، متى٢٧:٤٦]، ثم هل يتذلل الإله إلى هذا الحد لخلقه حتى يستهزأ به ويضرب ويبصق على وجهه[مرقس ١٥:١٩]كل ذلك لأجل مصلحتهم، أفتصنع ذلك مع من هو تحت يدك كخادمك أو خادمتك مع حاجتك لهم فكيف بالله الذي لا يحتاج إلى خلقه.

وأيضا هل يمكن أن يكون عيسى عليه السلام إلها وهو لا علم له بموعد يوم القيامة [مرقس ١٤: ٣٢].

أيها القارئ السوي إن عيسى عليه السلام يخبر بحقيقة الإله فلماذا نخالف كلمته وأمره ونتبع قول غيره؟!، ولماذا نخالف عقولنا؟، إن عيسى عليه السلام قد شهد بالحق وسوى بينه وبين الناس فهو ابن الإنسان وإلهه وإله الكون واحد:(إني سأصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) [يوحنا ١٧:٢٠].

أما أنه موجود بلا أب فليس مدعاة ليكون إلهاً؛إذ لو كان كذلك لكان آدم أحق بالألوهية؛إذ هو مخلوق بلا أب ولا أم وعيسى عليه السلام مكث في رحم أمه ثم خرج منه، وآدم مخلوق من تراب فيكون أحق بالألوهية منه.

وأما الآيات والمعجزات فليست دليلاً على ألوهيته؛إذ موسى عليه السلام أحيا العصا بعد أن كانت جماداً [خروج٧:١٠].

وأما لفظة الابن فليست دليلاً؛لأن الكتاب المقدس قد أطلق ذلك على غيره [انظر مثلاً خروج ٤: ٢٢، ارميا ٣١: ٩، المزامير ٢: ٧، ٢٠، رواية ٤: ١٤، لوقا ٣: ٣٨، رسالة يوحنا الأولى ٢:٢٩، ١:٣-٢].

وللقارئ بعد ذلك أن يسأل إذا لم يكن عيسى عليه السلام إلها فماذا يكون وبماذا يصفه الإسلام:

قد ذكر القرآن عيسى عليه السلام خمساً وعشرين مرة بينما لم يذكر اسم محمد عليه الصلاة والسلام إلا أربع مرات، ووصف عيسى عليه السلام في الإسلام بأوصاف عظيمة فهو نبي مرسل كريم صالح أوحي إليه من الله، وهو من أعظم أنبياء الله وأكرمهم، وهو المسيح الذي كان ينتظره اليهود، وقد قدم بمعجزة إلهية عظيمة، وتكلم وهو صبي في المهد، وقد كان يحيي الموتى بإذن الله، ويبرئ المريض بإذن الله، و سينزل آخر الزمان فيحق الحق ويبطل الباطل، والإيمان به وببقية الرسل ركن من أركان الإيمان، فمن لم يؤمن به كفر بالإسلام، وقد بين القرآن حقيقة عيسى وأمه عليهما السلام في مواضع كثيرة، ومنها:{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ (٤٢)يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٤٤)إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨)وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩)وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١)فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦)وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧)ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ (٦٠)} وقوله:(متوفيك)أي الوفاة الصغرى وهي وفاة النوم.

وقال تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦)فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨)قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١)فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣)فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦)}.

ولعلك قد لاحظت في هذه الآيات تلك الأوصاف العظيمة التي وصف القرآن بها مريم أم المسيح وقارن ذلك بحالها في الأناجيل الأربعة حيث (تكاد توهم بأنها كانت أقل فضلاً من أتباع المسيح وأنها كانت امرأة عادية أنكر عليها السيد المسيح فضل أمومتها وأشاح بوجهه عنها متسائلاً من هي أمي؟) [من كتاب الأصول الوثنية للمسيحية(١٥١) تأليف اندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ]، وقد قال المستشرق الفرنسي لاميل درمنغهم في كتابه حياة محمد:(إن القرآن يطهر مريم تطهيرا عظيما من كل دنس).

صلب المسيح وخلاص البشرية

تعتقد الكنيسة أن وفاة عيسى الإله على الصليب هي عصب عقيدة المسيحية إذ ترتكز عليها عقيدة المسيحية في الله والخطيئة والتطهير، وهما اللذان يسميان بخلاص البشرية أو الفداء ويسمى لأجلهما عيسى عليه السلام بالمخلص.

فعيسى عليه السلام قد صلب ومات ثم أفاق بعد موته بثلاثة أيام، وقد أقدم وهو الإله على الصلب ومكن اليهود من نفسه لمحبته للخلق؛لأن الخلق محتجزون بخطيئة أبيهم آدم التي أخرجته من الجنة وكان لابد لفكاكهم وخلاصهم من إهراق الدم لذلك، ولأجل ذلك أرسل الإله ابنه ليصلب وليهراق دمه لخلاص البشرية.

ولذا فإن خلاص البشرية إنما يكون بالإيمان بعيسى عليه السلام وبفكرة الخلاص من الذنوب، فلا يتعين على النصراني أن يصوم أو يصلي أو يستقيم في حياته مادام أنه مؤمن بهذه الفكرة.

وإنه ليتبين لك مما سبق أن هذه العقيدة مبنية على أمرين مترابطين بل أحدهما سبب للآخر وهما:

صلب المسيح لأجل خلاص البشرية وتكفير خطاياهم.

أيها القارئ السوي بعد قراءة هذه المقدمة حاول أن تبعد عاطفتك جانباً وتستند إلى عقلك وتنيره بتأملاتك واقرأ معي هذه النصوص:

- في إنجيل متى[٢٦: ٣٧-٣٩]: (وبدأ يشعر بالحزن والكآبة، فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت ابقوا هنا واسهروا معي، وابتعد عنهم قليلاً وارتمى على وجهه يصلي قائلاً:يا أبي إن كان ممكنا فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت).

- وفي إنجيل لوقا [٢٢:٤٤]:(وإذا كان في صراع أخذ يصلي بأشد إلحاح حتى إن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض).

- ويقول بولس:(والمسيح في أثناء حياته البشرية على الأرض رفع أدعية وتضرعات مقترنة بصراخ شديد ودموع إلى القادر أن يخلصه من الموت، وقد لبى الله طلبه إكراما لتقواه) [العبرانيين ٥: ٧].

- وفي إنجيل مرقس[١٠:١٧-١٩]:(وبينما كان خارجا إلى الطريق أسرع إليه رجل وجثا له يسأله:أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟، ولكن يسوع قال له لماذا تدعوني الصالح؟، ليس أحد صالحا إلا واحد، وهو الله، أنت تعرف الوصايا، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك)، وفي متى:[١٩:١٧]:(فاعمل بالوصايا).

– وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية[١٣/٣]:(إن المسيح حررنا بالفداء من لعنة الشريعة؛إذ صار لعنــة عوضــا عنا؛لأنه قد كتب:ملعون من علق على خشبة)، وفي [التثنية: ٢٢ / ٢٣]:(وإذا كان على إنسان خطيّة حقهــا الموت فقُتل وعلقته على خشبة، فلا تثبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون مــن الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك).

بعد أن قرأت هذه النصوص تأمل ما يلي:

– ألا ترى أن المسيح قد حزن واكتأب، وكان يصلي ويسأل المساعدة وعرقه يقطر ويصرخ بــشدة ودموعــه تنهمر مع تضرعه، كل ذلك يسأل القادر أن يخلصه من الموت، أيمكن مع هذا كله أن يسعى لقتل نفسه تخليصاً للبشر؟، أيمكن أن يكون ذلك مشهدا دراميا ليغتر بذلك الشيطان؟، ثم لو صح ذلك فلماذا يغر الشيطان وهــو ربه وخالقه، أيمكن أن يكون قد أذن له بحبس أرواح الأنبياء والبشر في جهنم من أجل الخطيئة ثم يعود فينقذهم ويخرق أذنه ولماذا ذلك الإذن إذاً؟.

– ألا ترى أن الكتاب المقدس بعهديه قد شهد أن المعلق على خشبة ملعون وأنه منجس للأرض، فهل يمكن أن يكون الإله ملعونا ونجسا؟، وهل يلعن الإله نفسه وينجــسها؟وهل إلــه يوصــف بهــذا الوصــف يــستحق العبادةوالتعظيم؟وهل كتاب يصف الله بذلك يستحق التصديق والاتباع؟.

– أيعقل أن يترل الإله لأجل أن يضربه اليهود ويمكنهم من نفسه وهم أعداؤه حتى يــصلب وتــضرب يــده بالمسامير، ويبقى ساعات من الزمن في هذه المهانة العظيمة و الذلة الشديدة، لأجل ماذا يعرض الإله العظيم الذلة لنفسه أو لابنه الذي في جوهره؟، أيعقل أن يكتب على نفسه ألا يغفر ذنوب عباده إلا إذا قدم نفــسه قربانــاً لنفسه؟.

ثم عجباً لإله يبكي ويصرخ ويقهر ويتضرع مع أنه أهلك الأمم الظالمة وأباد القرون السالفة وقهر الجبابرة وأذل الأكاسرة، وخلق هذا الكون العظيم بما فيه من عجائب القدرة وعظيم الصنع؟، ما أعجب عقل يؤمن بهذا، وما أزهدنا وأزهد كل إنسان عاقل في إله لا يقدر أن يخلص رسله وأولياءه من عدوه إلا بطريق الضعف والتنكــر، وإن إلها يعرض نفسه للذلة والمهانة لحري والله بأن لا يعبد، ولا أظنك إلا أن تقول حينئذ تعالى الإلــه الأعظــم الأوحد، وتقدس عما ينقصه أو يشينه.

ثم يا أيها القارئ أليس الكتاب المقدس مليئاً بأقوال الأنبياء المعظمة لله، ألم يخبروا بقوته وعظمته فلماذا نخــالف خبرهم حينئذ؟!، أليس الله قادرا على مغفرة ذنوب عباده بطريقة أيسر من هذه الطريقة التي لا ترضاها لنفسك

فضلاً عن أن تكون لملك تحبه أو مسئول تحترمه ولله المثل الأعلى، ثم هب أن الإله قد صلب ومات فمن الـــذي أحياه بعد موته أهو يحيي نفسه بنفسه؟.

ولنقف قليلا متأملين في قول بولس: (وقد لبى الله طلبه إكراما لتقواه)، ماهذا الطلب الذي سأله عيسى ولباه الله له؟والجواب عن ذلك مدرج ضمن كلامه حيث قال: (أن يخلصه من الموت)، فإذاً قد لبى الله طلب عيـــسى في النجاة من الموت، وعلى هذا فعيسى لم يمت و لم يصلب بنص كلام بولس، وإذا صح ذلك فكيف نجمع بين هذا و ما تذكره الأناجيل من موته ثلاثة أيام؟!.

وتأمل معي: إن مما تثبته الأناجيل بلا شك أن اليهود هم من سعى في قتله حتى صلب فإن كان صلب المـــسيح حقاً فإما أن يكون عملا صالحا فاليهود حينئذ قد عملوا عملا يحبه الإله ويرضاه، وكيـــف يكونـــون كـــذلك والمسيح قد أخبر أنهم خاطئون[متى ٢٦:٤٥]، أو أن يكون ذلك سفهاً وهذا فيه تسفيه للإله تعالى عن ذلك.

وإذا كان اليهود هم من قتل المسيح عيسى عليه السلام أي هم قتلة الرب كما يتضح ذلك من الكتاب المقـــدس فلماذا نصت قرارات الفاتكان الثاني ١٩٦٢-١٩٦٥ على تبرئة اليهود من هذه التهمة التي ألصقت بهم مدة ألف سنة أو يزيد؟.

وإذا كان الصلب حقا فلماذا وقعت الأناجيل في التناقض في وصفها لهذا الحدث المهم، ولكل منصف أن يقارن بين هذه الأناجيل ليتضح له ذلك، ومن الأمثلة عليه:في يوحنا[١٧/٩] أن حامل الصليب هـــو عيـــسى عليـــه السلام، وفي متى[٣٢/٢٧] ولوقا[٢٦/٢٣] أنه رجل اسمه سمعان، في متى[٣٨/٢٧، ٤٤] أنهم صلبوا معه لصين وكانا يسخران به، وفي لوقا[٣٩/٢٣-٤٣] أحدهما كان يسخر به، أما الآخر فقد زجر الذي سخر منه وقـــال له:"يايسوع اذكرني عندما تجيء في ملكوتك"، في مـــتى[٢٨، ٧] أنـــه ظهـــر بعـــد موتـــه في الجليـــل، وفي لوقا[٢٤/٣٣-٣٦] أنه ظهر في أورشليم.

وإذا كان الصلب هو الخلاص فلماذا تأخر كل هذا التأخر و لم يترل لتخليص من سبق، أليس هذا عين الظلـــم لهم؟، وهل التخليص من تلك الخطيئة أعظم وأهم من تخليص البشرية من ظلمات الشرك الذي بعث الله الرسل لأجل كشفه وإزاحته.

وللعاقل أن يسأل نفسه هل الله قادر على تخليص البشرية بدون الصلب؟.

فإن كان الجواب لا، ففي ذلك نسبة الإله إلى العجز التام، وإن كان الجواب نعم فلماذا كل هذا التعذيب.

ثم إن مما يثبته الكتاب المقدس أن كل إنسان هو الذي يحمل خطيئته، فقد جاء في التثنية[٢٤ / ١٦]:(لا يقتـــل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل)، وفيارمياء[٣: ٢٩-٣١].(في تلك الأيام

لا يقولون بعدُ الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست؛ بل كل واحد يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه)، وفي حزقيال [١٨: ١٩-٢٢] (وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب.أما الابن فقد فعل حقاً وعدلاً حفظ جميع فرائضي وعمل بها فحياةً يحيا.النفس التي تخطيء هي تموت.الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن.برّ البارّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون. . .فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقاً وعدلاً فحياةً يحيا.لا يموت، كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره).

إن هذه النصوص لتؤكد قضية مهمة، وهي أن الخطيئة غير موروثة، بل كل إنسان يحمل خطيئة نفسه، وأن الله يقبل توبة العبد إذا رجع إليه دون حاجة إلى تخليص العالم بما تقول الكنيسة، بل ودون اعتراف لأحد سوى الله تعالى.

أما المقالة الرابعة التي نقلتها في بداية الفصل من إنجيل مرقس[١٠:١٧-١٩]فإن المسيح يبين فيها خلاص البشرية والطريق الذي يمكّنهم من الخلود الأخروي الأبدي فما هو هذا الخلاص؟.

قال: (ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاعمل بالوصايا).

إن عيسى عليه السلام يبين لنا طريق الخلاص وهو حفظ الوصايا وما فيها من الحق، فلماذا إذاً نخالف وصيته مع محبتنا له؟!، ولماذا يجيب السائل بتلك الطريقة مع أن الخلاص بصلبه أسهل للسائل؟!، ألأنه لا يعرف ما سيحصل له وهو الإله أم لأنه لا يعرف طريقاً للخلاص غير ما ذكر؟ ولو كان الخلاص بصلبه فما فائدة الطاعة حينئذ والرهبنة والعبادة؟، ولماذا لا نمتع أنفسنا بما أن خلاصنا أمر مفروغ منه؟، ولماذا يرسل الله لنا الرسل وينزل علينا الكتب؟، وهل هي حينئذ إلا نوع من اللغو، وهل يكون الالتزام بها إلا نوعاً من العبث وإضاعة الوقت بما لا فائدة فيه ولا طائل تحته؟!؛ وهل تلك الدعاية إلا طريق لغواية البشرية وفتح لباب الشهوات على مصراعيه؟!.

أيها القارئ لا يليق أن تكون حياة المسيح وصلبه وما لاقى في ذلك من تعذيب سبيلاً لإرضاء الله وإنزال عفوه عن خطيئة الإنسان، فعفو الله الودود الرحيم أيسر من ذلك وأقرب .

وأما عن نظرة الإسلام لصلب المسيح فيوضح ذلك القرآن الكريم فيقول الله راداً على اليهود وذاكراً لأقوالهم الفاجرة:{وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما (١٥٦) وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (١٥٧) بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما (١٥٨) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (١٥٩)}.

ففي هذه الآيات بيَّن القرآن أن المسيح لم يقتل و لم يصلب، بل إن الله رفعه إليه وأكرمه وقربه، وقبل يوم القيامة يترل ليحق الحق ويتبع دين محمد صلى الله عليه وسلم ويعمل بأحكامه.

وهذا أوفق لمترلة نبي كريم إذ نجاه الله من أيدي الظالمين، وهذه عادة الله بأوليائه المؤمنين، {إنا لننجـــي رســـلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} .

أما خلاص البشرية في الإسلام فهو إنما يكون بإفراد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات و الإيمان بملائكته و رسله كلهم و الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وباتباع أمره وحكمه والكف عما نهى عنه وزجـــر، ومن أتى بذلك فإن الله وعده بالفوز والنجاة والخلاص والفلاح: {يأيها الذين آمنوا اتقـــوا الله وقولـــوا قـــولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما}.

ومن وقع في الذنب بعد إيمانه فإن خلاصه بالتوبة وإتباع السيئة الحسنة، وفي القـــرآن:{إن الحـــسنات يـــذهبن السيئات}[1]، وكل الطاعات مكفرات للذنوب في الإسلام، بل إن البلايا والمصائب إذا صبر عليها المسلم كانت مكفرة لذنوبه ورافعة لدرجته عند الله.

وفي الإسلام – كما قال الله تعالى -:{ولا تزر وازرة وزر أخرى}فلا يطالب أحد بذنب أحد، ولو كان أقرب قريب، بل كل فرد مؤاخذ بجريرة نفسه ومحاسب على عمله، وهذا منتهى العدل الإلهي والإنصاف الرباني.

فبالله أي الطريقين للخلاص أوسع بابا؟، وأي الأمرين أليق بالعقل والمنطق؟.



(١) وسيأتي مزيد حديث عن التوبة في مبحث الغفران.

الكتاب المقدس

الكتاب المقدس عند الكنيسة هو مجموعة أسفار العهد القديم والعهد الجديد وهو بقسميه وحي وإلهام مـــن الله، والعهد الجديد هو الإنجيل ويطلق على الأناجيل الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا ويضاف إليها أعمال الرســـل وجملة من رسائل الرسل ليبلغوا الناس دعوته، والإنجيل يحتوي في غالبيته على حياة المسيح من مولده وتعميده إلى صلبه وارتفاعه إلى السماء وجملة من التعاليم الروحية والدينية.

وأما الكتاب المقدس في الإسلام فهو القرآن الكريم، وهو في الإسلام كلام الله تعالى أوحاه إلى عبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم نزل به الروح الأمين جبريل، لا تحريف فيه ولا تناقض {لا يأتيه الباطل من بين يديـــه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد}، وقد تكفل الله بحفظه فقال تعالى:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحـــافظون}، وقد كان القرآن في الدرجة العالية من البلاغة، ولذا عجز مشركو العرب وهم البلغاء بأن يأتوا بسورة من مثله وقد تحداهم القرآن فلم يتمكنوا {أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من اســـتطعتم مـــن دون الله إن كنتم صادقين}.

وقد أخبر القرآن بأخبار الأمم السابقة وانطوى على علوم كثيرة وعلى مر العصور كم حاول غير المـــسلمين أن يحرفوه أو يزيدوا فيه فلم يتمكنوا فهو محفوظ من قبل الله، وهو موجود الآن كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم تضمن الصفات الكاملة للإله وتنزيهه عن المعايب والنقائص، والـــدعوة إلى التوحيـــد، والتحذير من الشرك والتثليث، وذكر الأنبياء والثناء عليهم والأمر بالإيمان بهم، والوعد بغلبة المـــؤمنين، وذكـــر الجنة والنار وذم الخلود إلى الدنيا، وبيان ما يحل ويحرم، وبيان أحكام الأسرة والمجتمع والترغيب والترهيب، وبيان محاسن الأخلاق والحث عليها، فهو بذلك قد حوى جماع ما يقيم العبودية ويصلح الفرد في دينه ودنياه وآخرته.

والإسلام يأمر معتنقيه أن يؤمنوا بالتوراة والإنجيل وأنهما كتابان أنزلهما الله على نبيين كريمين هما موسى وعيسى عليهما السلام ولكنهما لم يبقيا على أصلهما، بل حرفا وتلاعب الناس بهما.

ومما لا شك فيه أن أي كتاب ديني لابد أن يتوفر فيه شروط ليكون حجة يجب الأخذ به والاحتجاج، ولو تأمل القارئ السوي بعقله لاهتدى إلى أن أهم ما يشترط:

أولاً: أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بالمعجزة وأن يخبر بكتابه ويدعو الناس إليه، ثم ينقل عنه ويتوارثه الناس بالنقل الثابت والسند المتصل الذي لا مرية فيه.

ثانياً: أن يسلم من التناقض والاضطراب، وإن أي عقل لا يمكنه أن يكون مقتنعاً بحجة أي كتاب حتى تتوفر فيه الشروط المثبتة له، وبحثاً عن الحق وتجرداً عن المؤثرات دعنا نطبق هذه الشروط على الإنجيل والقرآن.

الإنجيل:

١ــالأناجيل المشهورة هي الأناجيل الأربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، و لم يتفق علماء الكنيسة علـى تـاريخ معين كتبت فيه تلك الأناجيل، أما إنجيل متى فقد كتب أصله بالعبرية عند الأكثرين من غير المعاصرين، وأقـدم نسخة وجدت منه باليونانية و لم يعرف مترجمه، أما عند المعاصرين فإنهم يرون أن أصل إنجيل متى هو النـسخة اليونانية، وهذا يدفعنا إلى تساؤلات، وهي: كيف يكون هذا الاختلاف الغريب في كتاب مقدس يكـون نـور الهداية للبشرية؟وهل يمكن أن يعتمد على هذا الإنجيل مع هذا الاختلاف في أصله؟، ثم على القول بترجمته: مـن هو مترجمه؟ وكيف ترجمه؟ وهل ترجمه كما هو أو تصرف في ترجمته؟، وإن من حقنا أن نسأل هذه الأسـئلة، أليس هذا الإنجيل كتاباً مقدساً؟ ومن حقنا حينئذ أن نثبت أصله ليكون مقدسا حقا.

وأما إنجيل يوحنا فقد أنكر كثير من علماء النصرانية أن يكون صاحب هذا الكتاب هو الحواري يوحنا، وقـد قال استادلين: (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة الإسكندرية).

وجاء في دائرة المعارف البريطانية التي أشترك في تأليفها خمسمئة من علماء النصارى:(أما إنجيل يوحنـا فإنـه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومـتى، وقد ادعى هذا الكاتب المرور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملـة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنـا يقيناً ...).

وأما مرقس ولوقا فليسا من الحواريين يقيناً، وعلى هذا فأصحاب الأناجيل لم يروا عيـسى عليـه الـسلام و لم يسمعوه، وإن من المتفق عليه أن عيسى عليه السلام لم يدون هذه الأناجيل وإنما كتبت بعده.

وحينئذ كيف تكون هذه الكتب مقدسة؟، مع أن هذه الأناجيل لم تنقل بالاتصال عن عيسى عليه الـسلام، و لم تدون منه أو من تلاميذه الذين رأوه.

ومع أن هؤلاء الرسل لم يثبتوا بالحجة ما ادعوه من الرسالة، و لم يظهر على أيديهم ما يبين صدقهم في الإلهـام والوحي، ومع أن بعضها لم يثبت من هو مؤلفه أو مترجمه، ثم لو ثبت أنها كذلك فمن الذي نقلها عن أصحابها ومن هم هؤلاء النقلة لو صح أنها نقلت، إن الكنيسة لتقر بأن السند إلى أصحاب تلك الكتب منقطع لم يتـصل فكيف إذاً يمكن أن نثق بها؟.

ولو صح أنها كذلك فاقرأ مقدمة لوقا فإنه ذكر أنها من تأليفه وجمعه وتدقيقه، وهذا بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس[١٢:٧] يقول: (وأما الآخرون فأقول لهم أنا لا الرب)، ويقول فيها[٢٥:٧]: (وأمـا العـزاب

فليس عندي لهم وصية من الرب، ولكني أعطي رأياً باعتباري نلت رحمة من الرب)، إنه يقر أنه من عند نفسه فكيف يكون الجميع وحياً من الله؟.

ثم إن من المعلوم بالضرورة أن عيسى عليه السلام إنما جاء بإنجيل واحد، وقد ذكر ذلك في إنجيل متى [٢٦: ١٣] ومرقس [٩:١٤]، فأين هذا الإنجيل؟ وكيف أصبح أربعة أناجيل؟ ولماذا لا يقال بواحد منها فقط دون البقية؟ ولماذا أجمعوا في المجمع المسكوني الأول على هذه الأربعة دون غيرها؟ وما حجتهم في هذا الاختيار؟ وما معيارهم فيه؟ و لم لا يكون أحد تلك الأناجيل المُسقَطة هو الأقرب إلى إنجيل عيسى عليه السلام؟ ثم إن بولس قد أشار إلى الإنجيل كثيراً [انظر روما١:١-٢، غلاطية ١:٧-٩، ١١، فيلبي ١:٥، ١٢]فأين الإنجيل الذي اعتمد عليه؟ علماً أن كل الأناجيل الموجودة إنما كتبت بعد ذلك.

٢ ــ أما السلامة من النقائض والاضطراب، فيقول الأستاذ النصراني المتدين أستاذ المسيحية في جامعة باريس شارل جنيبير في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها: (وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية، و لم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم بل على العكس من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه...وأطال الكلام في ذلك).

ويقول موريس بوكاي في كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم [٦٥] إن كثيراً (من قراء الإنجيل يشعرون بالحرج بل الحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروي في كثير من الأناجيل).

وللقارئ أن يتأمل في هذه الأمثلة:

١ ــ في متى [١:١ وما بعدها] ذكر نسب عيسى عليه السلام، وعد من يوسف خطيب مريم إلى إبراهيم (٤٠) نفسا، وجعل نسب يوسف هو نسب عيسى عليه السلام، وفي لوقا [٣:٢٣ وما بعدها]ذكر أنه ابن يوسف بن هالي، وعد إلى إبراهيم عليه السلام(٥٨) نفسا، وقال في آخر متى [١:١٧]:(ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع)، ولك أن تتساءل أيضاً كيف يكون إلهاً وهو ابن يوسف؟ وما تعلق هذا النسب بالمسيح الإله أو الابن أو ابن مريم؟وكيف يكون لا أب له وهو ابن يوسف؟ وما فائدة هذا النسب حينئذ؟.

٢ ــ في متى [١:١٦] رجل مريم يوسف بن يعقوب، وفي لوقا [٣:٢٣] يوسف بن هالي.

٣ ــ في متى[١:٦] المسيح من نسل سليمان بن داود، وفي لوقا [٣:٣١] من نسل ناثان بن داود.

٤ ــ في يوحنا [٥:٣١-٣٢]:(لو كنت أؤدي الشهادة لنفسي لكانت شهادتي غير صادقة، ولكن غيري يؤدي الشهادة لي)، وفيه [١٤:٨]:(مع أني أشهد لنفسي فإن شهادتي صحيحة لأنني أعرف من أين أتيت وإلى أين أذهب).

٥ ــ في متى [٤٤:٢٧] صلب مع المسيح لصان يهزأان به، وفي لوقا [٢٣:٣٩-٤١] يهزأ به أحدهما دون الآخر.

٦ ــ في لوقا [٩:٣]:(لا تحملواللطريق شيئاً لا عصا ولا زاداً ولا خبزاً ...)، وفي مرقس [٦:٨]:(وأوصاهم أن لا يحملوا للطريق شيئاً إلا عصاً لا خبزا ولا زادا)، فهل يحملون العصا، أو لا يحملون؟.

٧ ــ في متى [٣٢:٢٧] حامل الصليب رجل اسمه سمعان، وفي يوحنا [١٩:١٧] أنه يسوع.

٨ ــ في متى [٥:٩]:(طوبى لصانعي السلام)، وفي متى [١٠:٣٤]:(لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض ما جئت لأرسي سلاماً بل سيفاً).

فيا أيها القارئ الذي أكرمه الله بعقله لو صح أن هذه الأناجيل كتبت بأقلام ملهمة أوحي إليها فلماذا هذا التناقض؟.

أما القرآن فإنه كلام الله أوحاه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا لا يوجد على غلافه اسم لمؤلف من البشر؛ لأنه ليس من كلامهم، وقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوحي إليه هذا القرآن بمعجزات كثيرة كتكلم الجمادات والإنباء بأخبار الأمم السابقة والمغيبات التي حدثت في عصره وما بعده وغير ذلك، وكان منأعظمها القرآن الذي أعجز العالم في عصره وما بعده أن يأتوا بمثله بلاغة وإتقاناً ونظماً وإحكاماً وغير ذلك من صنوف الإعجاز، وقد دعا النبي محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى هذا الكتاب ونسبه إلى ربه، وقد كتب هذا الكتاب الكريم في حياة محمد صلى الله عليه وسلم وتحت إشرافه وكان جبريل يدارسه القرآن مرة كل عام وفي العام الأخير دارسه مرتين، وكان أصحابه يحفظونه بين يديه ويعرضون ما حفظوه عليه، ثم نقله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ونقله عنهم الناس، وتتابع الناس على نقله بالسند المتصل المتواتر ينقله جماعة كبيرة كثيرة عن مثلهم إلى من بعدهم دون انقطاع، وقد دونه أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتناقل الناس تدوينه وحفظه بالتواتر، وملايين من المسلمين من عامتهم وخاصتهم بل وأطفالهم يحفظونه عن ظهر قلب، ولم يقرأ كتاب في العالم أو يحفظ كما حصل للقرآن الكريم، وأمم المسلمين على اختلاف لغاتهم يحفظونه بالحرف العربي واللفظ العربي، ولا ترى في أي بلد من بلاد العالم الإسلامي نسخة أخرى تختلف عن نسخة أخرى، كما لا ترى نسخة تختلف عن تلك النسخة التي كتبت على عهد محمد صلى الله عليه وسلم وكتبها

أصحابه صلى الله عليه وسلم وتناقلها المسلمون جيلا بعد جيل، وإن في هذا لتصديقا لقول الله تعالى:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}.

نعم، قد ترجمت معاني القرآن تراجم كثيرة بلغات مختلفة، وهذه التراجم إنما هي تراجم للمعاني والتفاسير لا للألفاظ، وهي تختلف باختلاف مترجميها من جهة علمهم وتوجههم وتمكنهم من اللغتين، ولكن القرآن باق على أصله باللغة التي نزل بها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي اللغة العربية، ولذلك فإن عظمة ألفاظ ومعاني هذا الكتاب إنما هي باللغة الأصلية التي نزل بها.

قال الفيلسوف الفرنسي الكس لوزاون في كتابه حياة محمد:(خلّف محمد للعالم كتاباً هو آية في البلاغة، سجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية التي كشفت حديثاً أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام التام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية مع ما نبذله من مساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية).

وقال د.موريس بوكاي الطبيب الفرنسي – الذي أسلم بعدما توصل إلى حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن والذي ضمنه كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم –، وقد قال فيه: (لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن والتي كانت مطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق وبموضوعية تامة. .ودراسة نصه آية آية مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية انتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها والتي لم يكن لأي إنسان في عصر محمد أن يكّون عنها أدنى فكرة ...وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية فادحة فإنا لا نجد في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل لو كان مؤلف القرآن إنساناً فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم هو النص الأول نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية)، ويقول:(ففي القضايا التي تخضع للملاحظة مثل تطور الجنين يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية فيها مع العلم).

وبعد هذه المقالة التي قالها عالم نصراني أجبرته الحقيقة وألزمه الدليل أن يسلم آن للعقل أن يحكم متجرداً وآن للنظر أن يبعد عنه ظلمة الموروثات والتعصب، وأن يصدر حكمه العدل: أي الكتابين أولى بالتقديس؟ وأي الكتابين أحق بالاتباع؟.

ولن أجيب بل أرجو أن تكون أنت المجيب، ولكني أختم بهذه الأقوال التي أضعها بين يدي القارئ السوي:يقول لورد برنتون: (إن اضطراب الأناجيل هي التي دفعتني لدراسة عقيدة الإسلام فوجدت في القرآن الحكمة وفصل الخطاب وصدق الله العظيم الذي يقول: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} فالقرآن من عند الله بلا شك فليس فيه اختلافات، ولكن الأناجيل كتبها البشر فكثرت الخلافات فيها).

وقال الكونت هنري دي كاستري الفرنسي في كتابه:الإسلام:خواطر وسوانح(١٨): (إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيـــان بمثلها لفظا ومعنى).

وقالت الباحثة البولونية يوجينا غيانة ستشيجفسكا: (إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي نشأ في أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات، كما نجد في القرآن حقائق علمية لم يعرفها العالم إلا بعد قرون طويلة).

وقالت الباحثة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري في كتابها دفاع عن الإسلام(٥٦): (إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطعة من خلاله أنباء تتصف بيقين مطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، إن كلا من تعبيراته شامل جامع، ومع ذلك فهو في حجم مناسب).

وقال د. ماردريل المستشرق الفرنسي الذي كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن: (أما أســـلوب القرآن فإنه أسلوب الخالق عز وجل وعلا، ذلك أن الأسلوب الذي ينطوي عليه كنه الكائن[1] الذي صدر عنه هذا الأسلوب لا يكون إلا إلهيا. . .).



(١) هذا التعبير غير لائق بالله تعالى، ولا سند له من الوحي الإلهي.

الغفران

ترى الكنيسة الكثوليكية أن من حق القس أن يغفر ذنب من اعترف عنده بخطئه، فالكنيسة تمتلك حق الغفران للمسيء في الدنيا، وقد قررته الكنيسة حقاً لها في المجمع الثاني عشر استنادا إلى أن السلطة الدينية التي كانت للمسيح عليه السلام قد انتقلت منه إلى تلاميذه ومنهم إلى القديسين ، وقد اخترع البابا لاون العاشر للغفران تذاكر تعطى منه أو من وكيله للمشتري بمغفرة خطاياه الماضية أو المستقبلية أيضاً.

وهذه نظرة تأملية:

- من الذي أعطى للقس صلاحية الغفران؟مع أن عيسى عليه السلام لم يذكر ذلك ولا أحد من رسله، مع أن هذا الأمر لا يمكن أن تدرك حقيقته إلا بوحي من الله.

- ثم هو خطأ في حق الله فكيف يتنازل عنه ويغفره شخص من البشر بدون وحي؟، وهل يحق للموظف أن يغفر خطأ موظف آخر دون أن يأذن له رئيسه بذلك، ولله المثل الأعلى.

- ثم من الذي يغفر للقس؟، ستقول بلا شك البابا فأخبرني من الذي يغفر للبابا؟.

- ولماذا لا نعترف لله مباشرة؟، لماذا نفضح أنفسنا أمام غيرنا؟، لماذا نجعل البشر واسطة بيننا وبين إلهنا؟، أليس الله عالما بأمرنا قريبا منا لا يخفى عليه شئ من أمرنا؟.

- وهل الله كالسلطان الظالم الذي لا يوصل إليه إلا بواسطة، أو كالبعيد الذي لا يوصل إليه إلا بمن يقربنا إليه؟!، معاذ الله أن نقول ذلك، بل هو سبحانه عدل قريب.

- واسأل نفسك:أيمكن أن يكون الإله يحب إظهار المعصية، أو المجاهرة بها وفضح صاحبها التائب، ومعاملته بنقيض ما ينبغي له مع ندمه؟ أليس الإله يحب عباده المؤمنين ويفرح بتوبتهم فلماذا لا يكون محباً للستر عليهم وعدم إظهار معاصيهم إلا له وحده.

ضع نفسك في مثل هذا الموضع _ ولله المثل الأعلى _ لو كنت رئيساً لمجموعة من العمال فأخطأ أحدهم في أمر أمرته به أو نهي نهيته عنه أترضى أن يذهب إلى غيرك ليعترف عنده ثم يقبل منه؟!.

لا أظنك ترضى بذلك بل على العكس ستغضب من هذا الصنيع وتأمره مره أخرى بأن يعترف بالخطئين لك – أما أولهما فكونه قصر في أمرك أو وقع في نهيك ثم أنه ذهب يعتذر من غيرك وأنت شاهد حاضر قادر – لتمنحه رضاك بعد ذلك؛ لأن ذلك أدعى لإضفاء الهيبة لنفسك، ولأنه دليل على علو مكانتك في عملك، وقربك لمن هم تحت يدك؟، إذا كان هذا لبشر ضعيف مثلك فكيف بخالقك وربك ومولاك؟.

أيها القارئ: أليس الإله هو العظيم؟، ومن عظمته أن تعترف بين يديه بذنبك سائلاً التوبة منه.

أليس هو الرحيم؟، ومن رحمته أن يمنحك الغفران إذا رآك منطرحاً بين يديه.
أليس الإله هو الودود؟، ومن وده أن يقبل توبتك ولا يفضحك بين يدي عبد مثلك يقع في الذنوب، بل قد يكون أشد منك ذنباً وأخبث طوية.

وإضافة لما سبق ألا ترى أن إتيان المرأة الجميلة لتعترف باقترافها خطأ الوقوع في الزنا مدعاة لانتشار الفاحشة ووقوع القس في حبائل الشيطان؟ ولعلك حينئذ تعرف سبباً من أهم أسباب انتشار الجرائم الأخلاقية في ردهات الكنائس، وهو أمر أزكم الأنوف وانتشر حتى أصبح لا يخفى على أحد، وإذا كان ذلك من أسباب البلاء فهل يأتي الدين بما فيه فساد للأخلاق والمجتمع.

يقول أحد القساوسة الذين أسلموا (جريدة المسلمون عدد ٣٥٦، ٢٣ / ٥ / ١٤١٢ هـ) وقد حكى أن امرأة جاءته معترفة بخطاياها: (وما كدت أرفع الصليب حتى عجز لساني عن النطق فبكيت بكاء مراً وقلت هذه جاءت لتسأل غفران خطاياها مني فمن يغفر لي خطاياي؟ وإذا بذهني يتوقف بالعبارة القرآنية الجميلة {قل هو الله أحد} هنا أدركت أن فوق العالي عالٍ أكبر من كل كبير إله واحد لا معبود سواه، ذهبت على الفور إلى لقاء الأسقف وقلت له أنا أغفر الخطأ لعامة الناس فمن يغفر لي خطأي؟ فأجاب دون اكتراث البابا، وسألته فمن يغفر للبابا؟ وهنا انتفض جسمه ووقف صارخاً وقال إن قداسة البابا معصوم فكيف نتطاول بمثل هذا السؤال).

وللقارئ أن يتأمل ما سبق ويتدبره ويعرضه على عقله لينتهي فيه إلى الحق الذي لا يرضى الله سواه، ثم ليحاول أن يقارن ذلك بالنظرة الإسلامية:

أما في الإسلام فإن الاعتراف بالذنوب والندم عليها وهو ما يسمى بالتوبة عبادة من العبادات العظيمة التي حث الإسلام عليها وأمر بها، وبما أنه عبادة فالعبادات لا تصرف إلا لله فهي حق من حقوقه التي لا تصرف إلا له ومن صرفها لغيره فقد أشرك معه غيره وليس ذلك لنبي مرسل ولا لملك مقرب {وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.

إن الإسلام لم يغفل أن الإنسان خطاء بطبعه، نعم فالإنسان كثير الخطأ، ولا يمكنه أن يمنع نفسه من الخطأ مطلقا، ويبين ذلك نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم حيث يقول: {كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون}، فالشيطان يضع شركه وحبائله ليغوي البشر، ويضلهم عن طريق النجاة، والله عز وجل ينادي عباده ويحثهم على التوبة كلما أخطأوا {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً}.

وفي الإسلام مهما عظم الذنب، وأسرف العبد وابتعد عن الله، فإن باب التوبة مفتوح له ما لم تصل روحه حلقومه أو تطلع الشمس من مغربها: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله

يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم}، {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا}، بل إنه سبحانه وكما قال محمد صلى الله عليه وسلم: {إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها}، ويقول صلى الله عليه وسلم{إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر} أي ما لم تصل روحه الحلقوم.

وتأمل وفقك الله لهداه:في الإسلام لا يقتصر الأمر على مغفرة الذنوب فحسب، بل إن الله يبدل السيئات إلى حسنات، كل ذلك بمجرد التوبة والإنابة، فهل ترى لطفا وكرما أعظم من ذلك.

وأما من ترك دين الكفر وأعلن الإسلام وتاب إلى الله فإن الله يغفر ذنوبه كلها{قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف}، والإسلام يهدم ما قبله كما قال محمد صلى الله عليه وسلم.

وليس في الإسلام بين الله العظيم وبين المخلوق الضعيف واسطة، بل الكل قريب إلى الله الخالق العظيم إذا أقبل عليه وتقرب إليه، بل إن الخالق العظيم الرحمن الرحيم ليفرح بتوبة عبده الضعيف، يقول نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم:(لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة – أي صحراء – فانفلتت منه – أي هربت –، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح:اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح).

انظر إلى هذا التصوير الجميل، والربط العظيم بين الخالق والمخلوق، وقد أخبر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم أنهما من يوم إلا وينزل فيه الله إلى السماء الدنيا، فيقول:(هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فاستجيب له).

ولا يمكن لعقل سوي أن ينكر أن ذلك أدعى لتعلق العبد بربه فالعبد يحس بقرب الله، ويتذوق مثوله بين يديه، كما أنه أدعى لعدم رجوع المذنب إلى الذنب مرة أخرى خجلاً من الله المنعم المتفضل العظيم، الذي أنعم عليه بالنعم العظيمة والمنن الكثيرة، ومنها أن نبهه لاستدراك العمر والتوبة من الذنب فكيف يعصيه بعد ذلك؟، وهل يمكن أن يقارن بين اعتراف بالخطأ أمام الملك أو أمام المسئول الصغير؟، ولله العلو المطلق والكمال المطلق.



الأنبياء والعلماء

إن الأنبياء هم صفوة الخلق عند الله وأقرب الخلق إلى الله، ولا يستريب عقل أن من كان قريباً من الله فلابد أن يكون متصفاً بصفات الإيمان والتقوى فالله تعالى لا يصطفي من خلقه إلا أقربهم إليه.

وإن العهد الجديد قد تحدث عن بعض الأنبياء بما لا يخالف العقل ولا يخطئ الصواب، أما العهد القديم وهو من الكتاب المقدس فقد تعرض لذكر جمله من الأنبياء ووصفهم بما لا يرتضيه العقل:

- فهو يصف نوحا عليه السلام بأنه يشرب الخمر، ويتعرى ويراه ولده[تكوين ٩: ٢١ –٢٢].

- ويصف داود عليه السلام بالرقص متكشفا دون حياء [صموئيل الثاني ٦:١٤، ٢٠]، بل ويصفه بما هو أشنع من ذلك، فيصفه بالزنا مع زوجة أوريا فيقول بعد أن ذكر أنه رآها فأعجبته فسأل عنها فقيل له إنها زوجة أوريا (فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود) [صوئيل الثاني ١١ / ٤ – ٥]، بل ويصفه بأنه تسبب في مقتل زوجها[صموئيل الثاني١١ / ٦ – ٢٥].

- وأما سليمان عليه السلام فيصفه بما هو أشد من ذلك وأشنع؛ إذ يقول: (وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه) [ملوك الأول ١١:٤]، ويصفه بأنه ارتد آخر عمره وعبد صنماً، وأنه بنى المعابد العالية للأصنام، وأن نساءه كن يذبحن للأوثان [سفر الملوك ١١:٥–١٠] [1].

وبعد قراءة متأنية لما سبق للقارئ أن يسأل نفسه أيمكن أن يكون هذا من أنبياء الله ورسله وهم قدوة الخلق وأئمتهم وهم أصفياء الله، وكيف يرسل الله من هذه حاله ألا يكون ذلك دليلاً على سوء اختياره واصطفاءه تعالى الله عن ذلك.

وكيف يمكن أن نحترم كتاباً يصف الأنبياء بهذا الوصف الشنيع، بل ويصف والد عيسى داود عليهما السلام بما ذكر سابقاً.

إن هذه الأوصاف الشنيعة يترفع عنها سائر البشر الأسوياء، ولا يقبل أن يتصف بها المصلحون و القسيسون والباباوات، فكيف بالأنبياء والرسل، ثم هل من المنطق بعد ذلك أن يكون البابا معصوماً ولا يكون الرسول

---

(١) والعهد القديم يصف لوطا عليه السلام بأبشع وصف، وهو أنه شرب الخمر وزنى ببنتيه وهو مخمور لا يشعر [تكوين ١٩: ٣٠ – ٣٨]، وإنما لم أذكره لأنه عندهم – كما أفادني به بعض المختصين – ليس نبيا وإنما هو رجل صالح، وأما في الإسلام فهو من الأنبياء الكرام وقد وصف في القرآن بأحسن وصف، ومن ذلك قوله تعالى: {ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجينه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين(٧٤)وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين(٧٥})، وقال: {وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العلمين}.

معصوما، أنجعل المفضول أعلى مكانة من الفاضل؟!، هذا مالا يرتضيه الإنسان السوي في أحقر الأمور الدنيوية فكيف في أمر مهم من أمور الدين والاعتقاد.

إنني لا أظن كل عاقل سوي إلا محترماً لأنبياء الله الذي اختارهم الله وتفضل على البشر بهم ليـنيروا لهـم درب الحياة وطريق الآخرة، وليرشدوهم إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة، وليكونوا قدوة للخلق في جميع الخـصال وحميد الفعال ليقتدي بهم الناس ويتأسوا بهم.

ثم إن وصف الأنبياء بهذه الأوصاف في هذا الكتاب ليسهم في إشاعة الفاحشة وتفشي الجريمة؛لأن الإنـسان إذا قرأ هذه الأخبار عن الأنبياء والمرسلين دفعه ذلك إلى التهاون بها والوقوع في ممارستها، فكان الكتـاب الـذي يفترض أن يكون سبب هداية للبشرية دافعا لضلال الخلق.

أما علماء الدين فإن الكنيسة – خاصة الكاثوليكية – قد عظمتهم وأعلت مكانتهم، وهذا أمر حسن وهو أجدر بدين ينتسب إلى السماء؛ لأنهم يقومون في أقوامهم مقام الأنبياء يرشدون أهل الخير ويعظون أهل الضلال.

غير أن الكنيسة قد منحتهم بعض الأوصاف التي لا تليق بالبشرية فالبابا معـصوم في الكنيـسة، والبابـاوات والقسيسون يملكون حق الغفران، كما أن لهم خاصية فهم الكتاب المقدس وإلزام الناس بما يرون ولو كان فيـه مخالفة لظاهر الكتاب المقدس، البابا هو القاضي الأعلى في الحكم على تفسير معاني الكتـاب المقـدس، قـال فرنسيس ذاباولا: (إن البابا مأذون أن يعمل ما يريد حتى مالا يحل أيضاً وهو أكبر من الله)، والكنيسة تـرى أن الأساقفة والباباوات ممنوعون من الاقتران بالنساء والزواج بهن تكريما لهم.

أما في الإسلام فالأنبياء لهم المكانة العظيمة والمترلة الرفيعة والإيمان بهم من أركان الإيمان وشروطه العظام {ومن لم يؤمن بالله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا}، وقد ذكر الأنبياء في القرآن مـرات كثيرة ووصفوا بأوصاف عظيمة فهم الصابرون الصالحون المصطفون الأخيار المسارعون إلى الخيرات {إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا وكانوا لنا خاشعين}.

أما نوح عليه السلام فالله تعالى يقول عنه: {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين}، ويقول: {وتركنا عليه في الآخرين(٧٨) سلام على نوح في العالمين(٧٩) إنا كذلك نجزي المحسنين(٨٠) إنه من عبادنا المؤمنين(٨١)}.

ويقول عن داود عليه السلام:{واذكر عبدنا داود ذا الأيدِ إنه أواب(١٧) إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق(١٨) والطير محشورة كل له أواب(١٩) وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفـصل الخطـاب (٢٠)}، ويقول:{وإن له عندنا لزلفى وحسن مئاب}.

ويقول عن سليمان عليه السلام:{ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب}، ويقول:{إن له عندنا لزلفى وحسن مئاب}، ويقول عنهما:{وكلاً آتينا حكماً وعلماً}.

فانظر بعد ذلك وفقك الله لهداه أي الكتابين أوفق، وأي الوصفين أحق؟.

أما العلماء في الإسلام فهم ورثة الأنبياء ينفون عن الملة انتحال المبطلين وشبه الغالين وزيغ الزائغين، وهم قادة الناس ومرجعهم في الحلال الذي أحله الله والحرام الذي حرمه الله، ومع ما لهم في الإسلام من منزلة عالية إلا أنهم لا يختلفون عن عامة الناس إلا بما يحملون من العلم والتقوى، فلا سلطة لهم على الناس إلا سلطة العلم: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}، ولا يصرف لهم شيء من العبادات أو الزكوات كما لا يدعون أو يسألون من دون الله ولا يتخذون شفعاء ولا وسطاء بين الله وخلقه ولا يحرمون ما أحل الله ولا يحللون ما حرم الله ولا يتبعون فيما أخطأوا فيه وللعامي أن ينبههم على الخطأ، فالإسلام يترلهم في المترلة الوسط فلا غلو ولا جفاء.

أما موقف الإسلام من الزواج فالعلماء في الإسلام كغيرهم من الناس يتزوجون وينجبون كما يفعل الأنبياء وقد ذكر القرآن الكريم تزوج إبراهيم ويعقوب وموسى وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام وهذا ما ذكره الكتاب المقدس قبل ذلك، وهذا فيه أعظم توافق بين الرغبات النفسية وعبادة الله تعالى، بل هو أدعى إلى توحيد الذهن واتجاهه للعبادة دون غيرها بدلاً من أن يكون مشوشاً تتنازعه الشهوات والملذات؛ ذلك أن من طبيعية البشر السكن إلى المرأة والتزاوج بين الجنسين، وإن ما تفعله الكنيسة وتراه لهو مضاد كل المضادة للطبيعة البشرية والجبلة الإنسانية، وما حوادث الاغتصاب والجرائم الجنسية التي تنتشر في دور العبادة النصرانية إلا أظهر دليل على فساد هذا النظر الكنسي وبعده عن الطبيعة البشرية.

إن الإسلام ليوجد المتنفس المباح ويسمح بمزاولة الشهوات والملذات بقدر لا ضرر فيه ولا ضرار، يقول القديس برنردوس في وعظ ٦٦ من نشيد الإنشاد:(نزعوا من الكنيسة الزواج المكرم والمضجع الذي هو بلا دنس فملؤها بالزنا في المضاجع مع الذكور والأمهات والأخوات وبكل أنواع الأدناس).

ولا ينتهي العجب من منع القس والبابا من الزواج بدعوى أن في ذلك تتريهاً له، مع ما في ذلك من إغراقه في منازعة الشهوات ليكون بعد ذلك فريسة سهلة لمصيدة الشيطان في إفراغ نزعاته المكبوتة فيما حرم الله، كما لا ينتهي العجب أيضاً من تتريه القس والبابا عن الزوجة والأولاد وأن ذلك من النقص الذي يترفع عنه، وعدم تتريه الله العظيم عن الزوجة والولد حينما يقال إن عيسى عليه السلام ابن الله ولد من مريم عليها السلام، إن الإنسان السوي لينفر من تتريه البشر ورمي رب البشر بما هو نقص في البشر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

التعميد والعشاء الرباني

لا يدخل أحد في النصرانية - عند كثير من النصارى - حتى يمر بتجربة التعميد، وهو أن يغمس المهتدي إلى هذا الدين في بئر داخل الكنيسة حلت بها روح القدس أو ينثر على جبهته قطرات من ذلك الماء، ولا يكون الطفل نصرانياً إلا بعد أن يصنع به ذلك، ولا يكفي أن يكون قد ولد من أبوين نصرانيين.

وقد أخذوا ذلك من تعميد يوحنا المعمدان للمسيح بنهر الأردن[مرقس ٩:١]، وجاء في إنجيل متى [١٨:٢٨-٢٠]:(فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً قد سلمت كل سلطة في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا إذاً وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيتكم به).

أما العشاء الرباني فقد جاء في الكتاب المقدس [لوقا ١٩:٢٢-٢٠]:(وإذ أخذ رغيفا شكر وكسَّر وأعطاهم قائلا هذا جسدي الذي يبذل لأجلكم، هذا افعلوه لذكري، وكذلك أخذ الكأس أيضا بعد العشاء، وقال هذا الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك لأجلكم).

وفي يوحنا[٦:٥٣-٥٦]:(الحق الحق أقول لكم إذا لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الآخر؛لأن جسدي هو الطعام الحقيقي ودمي هو الشراب الحقيقي، وكل من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه].

فالعشاء الرباني فريضة دينية يستعمل فيها الخبز والماء، فيأكل كل من المؤمنين بالنصرانية لقمة من الخبز وقليلاً من الماء، فيأكلون ويشربون تذكاراً لموت المسيح وإشارة إلى مجيئه، والخبز يشير إلى جسده المكسور والماء إلى دمه المسفوك، وهل الخبز والماء يمثلان دم المسيح وجسده حقيقة أولا؟، قرر القديس توما الأكويني في مؤتمر لاتيران الرابع عام ١٢١٥م أن تغييرا نوعيا يطرأ على مادتي الماء والخبز، مع بقائهما محتفظين بأعراضهما المادية خبزا وماء، وقرر ذلك أيضا المجمع الديني الذي عقد في ترنت عام ١٥٥١م.

أما التعميد فإنه لأمر جميل أن يغتسل الإنسان بالماء إشارة إلى غسل الروح من أدران الشرك، وإن بين الظاهر والباطن لترابطا وثيقا، ولكن لماذا التخصيص بماء بئر في الكنيسة؟، أيعقل أن يكون روح القدس الذي هو ثالث الأقانيم قد دخل فيها؟، ثم من أين أُتي بذلك والكتاب المقدس لم يبينه أو يشر إليه، بل أشار إلى خلافه لأن نهر الأردن ليس بئراً محدداً؟، أم أن روح القدس أيضاً حل في النهر بكامله؟!، ولو كان كذلك فلماذا لا يقدس النهر أيضاً لحلول روح القدس فيه؟، بل لتعميد الإله منه؟، ثم ألا يكون فعل يوحنا فيه إشارة إلى أن المقصود هو الماء أياً كان موقعه؟.

ثم إن عيسى عليه السلام قد عُمِّد في ذلك النهر، فمن الذي بارك النهر له وهو الإله أيعقل أن يبارك بعضه بعضاً؟، ثم إن الكنيسة تقول بوراثة الخطيئة ويوحنا على قولهم يحمل الخطيئة فكيف يعمد المخطئ المخلص؟، وكيف يحتاج المخلص إلى التعميد ألم يأت لتخليص العالم؟، وأيضاً لو آمن شخص بعيسى عليه السلام ثم مات قبل التعميد فما حكمه؟ أهو مؤمن أو كافر؟.

لو قلنا هو مؤمن لكان في ذلك نقضاً لهذا الحكم بأصله، ولو قلنا هو كافر فأين محبة الإله ورحمته أن يجعل هذا كافراً مستحقاً للعنة مع أنه اعتقد وقال بلسانه كل ما أوجب عليه و لم يبق إلا أن يغتسل بذلك الماء المعين؟، ثم ما الحكم إذا لم يوجد في المكان كنيسة؟ أيرتبط الاعتقاد والإيمان بالأماكن.

أما العشاء المقدس فإن الإنسان إن شرب لا يمكن أن يجد طعم الدم وإن أكل لا يجد طعم اللحم، فكيف يؤمر أن يعتقد أن المشروب هو دم الإله والمأكول هو لحمه؟ أليس في ذلك تحجيراً للعقل ومناقضة لبدهياته.

ثم كيف يتمتع الإنسان السوي بل ويتعبد بشرب دم إلهه وأكل لحمه؟، وكيف يكون ذلك للإله المحبوب مع أن هذا الصنيع – ولو كان رمزاً – فإنه لا يصنع إلا مع العدو الغاشم الذي يتجرع الإنسان دمه ويأكل لحمه تعبيراً عن حقده له، وتأكيداً لانتقامه منه؟، وهل يستحق الإله الذي أنعم وأكرم كل ذلك؟.

ثم إن في الكتاب المقدس قول المسيح: (اصنعوا ذلك لذكري) فكيف يكون لذكراه مع دعوى حضوره معهم، بل وأكلهم من دمه ولحمه.

أيضاً ألا ترى أنه لو كان هذا الصنيع والاعتقاد صحيحا لكان مَن يحب الإله أشنع وأخبث من عدوه؛ لأن اليهود لم يؤلموه إلا مرة واحدة و لم يأكلوا لحمه أو يشربوا دمه، وهؤلاء يؤلمونه باستمرار، ويأكلون لحمه ويشربون دمه على الدوام.

أيها الإنسان السوي تأمل قليلاً في ذلك الاعتقاد واسأل نفسك تلك الأسئلة السابقة، وحكِّم عقلك كما حكمه جماعة من الغربيين فحكموا عليه بأنه لوثة وثنية أخذت من بعض الأديان الوثنية، وقد قال د. على بنويست، وقد كان نصرانياً فأسلم: (لم أستطع قبول دعوى القساوسة الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة الذنوب، و لم أصدق أبداً ذلك الطقس الكاثوليكي عن العشاء الرباني والخبز المقدس، فهو في الأصل طقس. يعود للعصور البدائية، حيث كانت الناس يتخذون لهم شعاراً مقدساً يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلهمون جسد هذا المقدس بعد موته لتسري فيهم روحه، وكان يباعد بيني وبين المسيحية أيضاً أنها لا تحتوي في تعاليمها شيئاً يتعلق بالنظافة و لم تعترف المسيحية بالغرائز الفسيولوجية في الإنسان، وكان الإسلام هو الدين الوحيد الذي انفرد بمراعاة الطبيعة البشرية).

أما الإسلام فإنه يحكم لكل من تلفظ بالشهادتين: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله معتقداً إياها فإنه يحكم له بالإيمان ودخول الإسلام، ولذا لو مات قبل أن يأتي ببقية الأركان كالصلاة فإنه يموت مؤمناً، ومن ولد من أبوين مسلمين فإنه مسلم تبعاً لأبويه ولأن الإسلام دين الفطرة قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم: {كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه}، ويستحب في الإسلام أن يغتسل من أسلم كناية عن غسل نفسه من أدران الشرك ورفعاً للحدث الأكبر وهو الجنابة بالجماع أو الإنزال.

وذكر الله في الإسلام لا يكون مرتبطاً بحدث دون حدث أو بوقت دون آخر، بل المسلم مأمور أن يتصل بخالقه وأن يذكره في كل وقت، فهو من أن يستيقظ إلى أن ينام في ذكر متواصل، والإسلام يأمر العبد أن يكثر من ذكر الله وأن يعوّد نفسه عليه، وأعظم الذكر قراءة القرآن، وهي مستحبة في كل وقت، وأعظم الصلة الصلاة وهي واجبة في بعض الأوقات ومستحبة في أغلبها.

والتقرب إلى الله في الإسلام لا يكون بعشاء كهذا، بل بعبادة الله والإكثار من طاعته وذكره وكلما ازداد العبد طاعة كان أقرب إلى الله وأشد محبة له.

فهل ترى بعد ذلك محبة للإله أو تعظيماً له أو ذكراً له أعظم من ذلك؟.

❋ ❋ ❋

وصية يسوع عليه السلام

إن عيسى عليه السلام قد أوصانا بوصية عظيمة هي ميزان بين الحق والباطل والصدق والكذب فهلم فلنقرأها ثم لنتأمل معانيها:

قال عيسى عليه السلام: (احذروا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم، هل يُجنى من الشوك عنب أم العليق تين؟هكذا كل شجرة جيدة تثمر ثمراً جيداً، أما الشجرة الرديئة فإنها تثمر ثمراً رديئاً، لا يمكن أن تثمر الشجرة الجيدة ثمراً رديئاً، ولا الشجرة الرديئة ثمراً جيداً، وكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتطرح في النار، إذاً من ثمارهم تعرفونهم) [متى ٧: ١٥ - ٢٠].

إن هذه الوصية العظيمة لتعتبر الامتحان الحاسم لكل من يدعي النبوة (من ثمارهم تعرفونهم)، فكل من أدعى النبوة فلينظر إلى ثماره حتى يعرف صدقه من كذبه، وإن أعظم من جاء بعد عيسى عليه السلام هو محمد صلى الله عليه وسلم فلنطبق عليه وصية عيسى عليه السلام:

قال المستشرق وليم موير:(لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن كما فعل محمد نبي الإسلام).

ويقول الكاتب الإنجليزي المعروف برناردشو: (إني اعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العلم بأجمعه اليوم لتم النجاح له في حكمه ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة).

ويقول الشاعر لامرتين:(إن محمدا هو أعظم رجل بكل المقاييس التي وضعت لوزن العظمة الإنسانية، فإذا كان مقياس العظمة الإنسانية هو إصلاح شعب متدهور فمن ذا الذي يطاول محمدا في هذا المضمار؟، وإذا كان مقياس العظمة هو توحيد الإنسانية المفككة الأوصال، فإن محمدا أجدر الناس بهذه العظمة؛لأنه جمع شمل العرب بعد تفكك شامل، وإذا كان مقياس العظمة هو إقامة حكم السماء في الأرض، فمن ذا الذي ينافس محمدا الذي محا مظاهر الوثنية وثبت عبادة الله وقوانينه في عالم الوثنية والقوة).

ويقول العالم الإمريكي مايكل هارت في كتابه المئة الأوائل(٢١): (إن محمدا كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي، لقد أسس محمدا ونشر أعظم الأديان في العالم)، وقال(٢٦): (إن هذا الاتحاد الفريد الذي لا نظير له للتأثير الديني والدنيوي معا يخوله أن يعتبر أعظم شخصية ذات تأثير في تاريخ البشرية).

أيها القارئ يا من أحب له الخير إن هؤلاء المتحدثين قد شهدوا بثمرة الإسلام الذي هو دين محمد صلى الله عليه وسلم فلماذا شهدوا بذلك؟.

إن الإسلام قد جاء متمماً للرسالة التي جاء بها عيسى والأنبياء قبله عليهم السلام، والتي تكفل للعالم السلام والسعادة اللذين ينشدهما.

فالإسلام في عقيدته قد جاء بأوضح مفهوم عن الواحد الأحد المتره عن النقائص، وشرع للناس ما يوافق فطرهم، ويضمن للجميع حقوقه بالعدل و الرحمة مهما اختلفت ألوانهم وطبقاتهم وأجناسهم.

ثم تأمل بنظرة متجردة وعقل متزن لو قيل إن محمداً ملك ظالم ونبي كاذب أيمكن أن ينتشر دينه بهذا الانتشار السريع – إذ في أقل من قرن بلغ اتساعه من أسبانيا غرباً إلى الصين شرقاً ومن السودان جنوباً إلى تركيا شمالاً – أيمكن أن ينتصر على كل أعدائه؟، أيمكن أن يحكم العالم كله؟.

ولو قيل ما سبق من أنه نبي كاذب قد قهر الناس بسيفه وأقام ثلاثا وعشرين سنة يدَّعي النبوة ويكذِّب على الله فيقول إنه أمرني ونهاني وأوحى إلي، وبقي على هذا يغير دين الأنبياء ويعادي أممهم وينسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن يقال إن الله قد أطلع على ذلك وشاهده أو يقال إنه خفي عليه و لم يعلمه، ولا شك أن أي مؤمن بالله لا يقول إنه خفي عليه و لم يعلمه؛ لأنه ينسب ربه إلى الجهل.

وإن كان كذلك لم يبق إلا أن الله علمه واطلع عليه وحينئذ إما أن يكون قادراً على تغييره أو لا يكون قادراً على ذلك، ولو قيل هو غير قادر لكان فيه نسبة الله إلى العجز المنافي للألوهية والربوبية، وإن قلت إنه كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه المعجزات، ثم يمكن لأصحابه وأتباعه، ألا ترى أن ذلك فيه نسبة الرب إلى الظلم والسفه الذي لا يليق بآحاد العقلاء فكيف برب الأرباب الحكم العدل جل وعلا، فلم يبق إلا أنه قادر وقد نصره وأعلى دينه وأتباعه لأنهم حققوا مراده سبحانه.

ولعل قائلاً أن يقول إنه نبي، ولكنه نبي العرب ورسولهم، وهذا أيضاً يناقض العقل؛لأنك إن صدقته بأنه رسول ونبي وجب عليك تصديقه في كل ما يقول؛ لأن النبي لا يكذب، وهو قد أخبر أنه رسول إلى العالم كله وإلى جميع البشر وقد حارب اليهود والنصارى وأمرهم أن يتبعوه.

وإلي القارئ المنصف بعد هذا شيئاً من النصوص التي ينبغي أن يعمل فيها عقله ليصل إلى الحق إن شاء الله علماً بأن ما سأذكره إنما هي نبوءات مستنبطة من الكتاب المقدس، وليست تلك الطريقة غريبة؛ لأن القسيسين

يستدلون بآلاف من النبوءات الموجودة في التوراة ويثبتونها لعيسى عليه السلام وهنا سنستعمل تلك الطريقة ذاتها مع نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

ومن تلك النبوءات:

١ - (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه بـه) [التثنية ١٨: ١٨].

تأمل معي هذا الخطاب الموجه إلى موسى عليه السلام:

أولاً: قوله مثلك وعيسى عليه السلام ليس كمثل موسى عليه السلام، فموسى عليه السلام له أب وأم و لم تكن ولادته معجزة، وكان متزوجاً وقد أنجب الأولاد، و لم ترفضه أبناء أمته في حياته، وكان إماماً في قومه يقيم فيهم أحكام الشرع الموحى إليه، كما أنه جاء بشرع جديد، ومات موتاً طبيعياً، بينما عيسى عليه السلام يخالفه في كل ما سبق، وأما محمد عليه السلام فإنه يوافقه في كل ما سبق، فمن هو المقصود حينئذ بقوله (مثلك)؟.

ثانياً: (من وسط إخوتهم) وهذا خطاب لموسى عليه السلام وهو مرسل في اليهود وهم من أبناء إسحاق، وإخوتهم من أبناء إسماعيل ومحمد عليه السلام هو الذي أرسل إلى بني إسماعيل إخوة اليهود.

٢ - (لأني إن كنت لا أذهب لا يأتيكم المعين - وفي نسخة المعزي -، ولكني إذا ذهبت أرسله إليكم، وعندما يجيء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة، أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأني عائد إلى الأب فلا ترونني بعد، وأما على الدينونة فلأن سيد - وفي نسخة رئيس - هذا العالم قد صدر عليه حكم الدينونة) [يوحنا١٦:٨-١١].

(ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئا من عنده، بل يخبركم بما يسمعه، ويطلعكم على ما سوف يحدث، وهو سيمجدني لأن كل ما سيحدثكم به صادر عني، كل ما هو للأب فهو لي، ولذلك قلت لكم إن ما سيحدثكم به صادر عني) [يوحنا ١٦:١٣-١٥].

(وسوف أطلب من الأب أن يعطيكم معينا - وفي نسخة معزيا - آخر يبقى معكم إلى الأبد) [يوحنا ١٤:١٦].

(وأما الروح القدس المعين الذي سيرسله الأب باسمي فإنه يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم) [يوحنا ١٤:١٦]

(وعندما يأتي المعين الذي سأرسله لكم من عند الأب روح الحق الذي ينبثق من الأب فهو يشهد لي) [يوحنا١٥:٢٦].

أولاً: لا يمكن أن يكون المعين هو المسيح نفسه؛لأنه يتكلم عن شخص آخر سيأتي بعد ذهابه (ولكني إذا ذهبت أرسله إليكم).

ثانياً: أن المعين يفسر كل شيء (يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يقول شيئا من عنده، بل يخبركم بما يسمعه، ويطلعكم على ما سوف يحدث) وفي نسخة قديمة: (يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب)، و لم يأت بعد عيسى عليه السلام من يفسر كل شيء وأحكام كل شيء إلا محمد عليه الصلاة و السلام، فأنه جاء بحقوق الله وحقوق البشر وحقوق الأفراد والجماعات، فليس في الكون شريعة شاملة لكل شيء اشتملت على العقائد وأحكام العبادات والمعاملات والآداب إلا شريعة محمد عليه الصلاة و السلام، كما أنه أخبر بما سيأتي يوم القيامة وبكثير مما سيأتي في الدنيا، ولا يمكن أن يكون المقصود هو بولس فضلا عن غيره، لأنه لم يبين أحكام كل شيء، و لم يفسر كل شيء، بل إنه أبطل كثيرا من أحكام التوراة فهو مبطل و لم يأت بجديد.

كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد شهد لعيسى عليه السلام بالحق ونزهه عن كل ما يصفه به الظالمون من أنه ابن زنى وأمه زانية، بل وقال:(أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي)، وهو قد ذكَّر بكل ما قاله عيسى عليه السلام، وما بعث عيسى عليه السلام لأجله، وقد جاء في نسخة قديمة:(يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له فإني أجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل)، ومحمد صلى الله عليه وسلم قد جاء بتبيين الحقائق، و لم يأت بالأمثال فقط، فهو قد جاء بالتأويل يعني التفسير وتبيين حقائق ما تؤول إليه الأشياء.

٣ ــ (إن سيد العالم قادم علي، ولا شيء له في) [يوحنا ١٥:٣١]، إن عيسى عليه السلام هنا لا يتكلم عن نفسه كما هو واضح من العبارة، ولا يمكن أن يكون المقصود بذلك هو بولس، بل لا يمكن لأحد أن يدعي أنه سيد العالم، فهو أقل شأنا من عيسى عليه السلام عند النصارى فكيف يكون سيدا للعالم بما فيهم عيسى عليه السلام؛لأن عيسى عليه السلام لم يخرج نفسه من العالم، ولك أن تسأل:من هو أعظم رجل جاء بعد عيسى عليه السلام؟، من الرجل الذي يمكن أن تنطبق عليه أوصاف السيادة العالمية؟من هو الرجل الذي تمكن من قيادة العالم فأصبح دينه يسيطر على العالم كله؟.

لقد قامت مجلة التايمز (عدد ١٥ / ٧ / ١٩٧٤م) بدراسة لمعرفة آراء الكثيرين حول موضوع من هو أعظم قادة العالم وقد كانت الإجابات مختلفة، ولكن العالم النفساني الأمريكي جولز ماسرمان وضع بعض القوانين التي تقرر عظمة القائد، وهي:

١ ــ أن يوفر الخير والسعادة لأمته.

٢ ــ أن يوفر نظاماً اجتماعياً متكاملاً يعطي الشعور بالأمان للأمة.

٣ ــ أن يوفر للأمة معتقدات ومبادئ يؤمنون بها.

وحاول أن يطبق هذه القوانين على كثير من العظماء كموسى النبي عليه السلام وقيصر وهتلــر وغيرهــم، ثم قال:(إن أمثال باستور وسالك هم قادة ينتمون إلى الضابط الأول، وآخرون أمثال غاندي وكونفوشيوس مــن جهة وقيصر وهتلر من جهة أخرى فإنهم ينتمون إلى الضابط الثاني، وربما أيضاً الضابط الثالث، أمــا بالنــسبة للمسيح عيسى ــ عليه السلام ــ وبوذا فإنهم ينتمون إلى الضابط الثالث، ولعل أعظم قائد في التاريخ هو محمــد ــ عليه السلام ــ الذي جمع بين الضوابط الثلاثة، وموسى ــ عليه السلام ــ تقريباً جمع بينهم كذلك).

ففي نظر القارئ المنصف من هو سيد العالم الذي سيأتي بعد عيسى عليه السلام؟، إن العدل والإنصاف يقتضيان أن نقول هو محمد صلى الله عليه وسلم.

٤ - (إن ملكوت الله سيترع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره) [متى ٢١:٤٣]هذه المقالة قالها عيــسى عليه السلام لأشرف أصحابه وهم الحواريون وهم من بني إسرائيل، وهو يخبرهم أن ملكوت الله سيترع منــهم لشعب آخر، فمن يكون هذا الشعب إذا لم يكن هو شعب بني إسماعيل؟!.

ولعل مما يزيد بصيرة ويوضح الأمر بجلاء أن تراجع هذه المواضع من الكتاب المقدس وتتأملها وتجعل العقل الحــر هو الحكم، وبما أنها نبوءات تحتاج إلى تفسير فإني أضع بعض ما يفسر رموزها باختصار:

- المزامير[٦٨:١-٧] ذكر أنه سيبدد الله أعداءه، وأنه سيهاجر مع الموحدين من الرمضاء إلى فلاح، وسيسلك في طريقه القفار، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابتدأ دعوته بمكة وكانت في الرمضاء، وهاجر إلى المدينة وكانــت أرض فلاحة، وسلك الصحراء في هجرته من مكة إلى المدينة.

- المزامير[٨٩:١٩-٣٦] ذكر أنه سيملك الأرض والبحر، وتذل له الملوك، وهذا ما حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته.

- إشعياء[٩:٦-٧]ذكر أنه يولد له ولد تكون الرئاسة على كتفه، وفيه إشارة إلى خاتم النبوة الذي كان في ظهر محمد صلى الله عليه وسلم بين كتفيه (وهو قطعة من اللحم مرتفعة مثل البيضة)، وذكر أن اسمه سيكون غريبــا وسيكون رئيس السلام، وقد جاء في طبعة ١٧٢٢م مطبعة انتوني بورتلي:واسمه أحمد.

- إشعياء[٢١:٦-١٧]ذكر أن ركاب حمير وركاب جمال قادمون، وستسقط بابل وجميع الأصــنام، وســيأتي وحي من جهة دومة من جهة بلاد العرب وسينصره أهل تيماء، وأن من نصره سيهربون وسيفنى بعد مدة مجــد

قيدار ويبقى مجد أهل تيماء، ومعلوم أن عيسى عليه السلام يركب الحمار ومحمد صلى الله عليه وسلم يركب الجمل، ولم تسقط بابل والأصنام إلا على يد محمد وأمته، ولم يأت وحي من جهةالعرب بعد موسى عليه السلام إلا الوحي الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وأهل تيماء هم الأنصار أهل المدينة، وأهل مكة هم من بني قيدار ابن إسماعيل، وقد زال مجد من حارب الوحي منهم على يد أهل تيماء، وهذا الموضع من أصرح المواضع لمن ابتغى الحق.

- إشعياء[٢٩:١٢]ذكر أنه سيدفع الكتاب لمن يقال له اقرأ فيقول لا أعرف، وهو ما حدث لمحمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء، وكان أميا لا يعرف القراءة.

- إشعياء[٤٠:٣-٨]صوت صارخ في البرية يعلن طريق الرب يسمعه كل البشر، يقال له ناد فيقول بماذا أنادي، ومحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم من خرج في الصحراء وكانوا أميين.

- إشعياء[٤٢:١-٤و١١-١٣]ذكر المختار وأنه لا يصيح ولا يسمع صوته في الشارع، ولا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته، وأنه سترتفع ديار قيدار وتترنم سكان سالع ويعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر، ومحمد صلى الله عليه وسلم هذه أوصافه، وكذلك صنع هو وأصحابه حتى انتشر الإسلام في أكثر العالم القديم في فترة وجيزة، ومما لا ريب فيه أن قيدار من أبناء إسماعيل[تكوين ٢٥:١٣]وأبناء إسماعيل لم يحصل لهم الاجتماع والمجد إلا بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

- إشعياء[٤٣:١٩-٢١]ذكر الرب أنه صانع أمرا جديدا ينبت في البرية طريقا في القفار، ثم ذكر أن هذا الشعب اختاره وجعله يسبحه، وما الذي نبت في الصحراء إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم.

- إشعياء[صح ٥٤، و٦٠]ذكر العاقرة التي لم تلد ابنا لها، وأن أبناءها يرثون أمما ويعمرون مدنا، وأنها لا تخاف ولا ترتاب، وأن الناس يجتمعون إليها، وكل غنم قيدار تجتمع إليها وأنها تفتح أبوابها بالليل والنهار للزائرين، وهذه أوصاف مكة لأنها لم تلد نبيا من قبل، وكان يسكنها أبناء قيدار، وأبناؤها ورثوا الأمم وعمروا المدن الكثيرة، وفي ذكره عدم الخوف والارتياب إشارة إلى الأمن، وما هناك في الدنيا بلد أكثر أمنا من مكة، وهي مجتمع المسلمين يفدون إليها من كل مكان، وأبوابها مفتوحة في كل وقت للزائرين والمعتمرين، ولا يمكن أن تكون هذه الأوصاف للقدس لأنها ليست عاقرا، ولم يفعل أبناؤها كما فعل أبناء مكة، وأما الأمن والارتياب فأين القدس منهما؟.

- حبقوق[٣:٣]ذكر أنه يأتي القدوس من فاران، وبرية فاران هو المكان الذي سكن فيه إسماعيل عليه السلام[تكوين ٢١:٢١]فإذا كان إسماعيل عليه السلام قد سكن مكة، فمن هو القدوس الذي سيأتي من مكة؟!.

- الرؤيا ليوحنا[١٩:١١-١٥]ذكر أنه رأى السماء مفتوحة وإذا حصان أبيض راكبه يسمى الأمين الصادق يقضي ويحارب بالعدل، وقد كتب على جبهته اسم لا يعرفه أحد إلا هو، ويتبعه جنود راكبين خيولا بيضاء لابسين كتانا نقيا ناصع البياض، وكان يخرج من فمه سيف حاد ليضرب به الأمم ويحكمهم بعصا من حديد، ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يلقب بالصادق الأمين قبل النبوة، وهو الذي فتح البلدان مع أصحابه على الخيول وبقوة السيف لمن حارب دين الله، ومما لا يجهل تاريخا عدل المسلمين بين الأمم، واسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان اسما غريبا لم يسم به أحد ممن قبله.



وقفة

وبما أن تطبيق وصية عيسى عليه السلام على نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يثبت أن محمدا نبي أوحي إليه وأمر بالبلاغ.

ولما أن كان العقل السوي المتجرد للحق يثبت نبوته ورسالته فما هو هذا الدين الذي جاء به وأمر الناس باتباعه، وإنه ليقبح بالإنسان السوي الباحث عن الثقافة والعلم فضلاً عن طالب الحق والاعتقاد السليم أن يجهل معرفة هذا الدين الذي يتبعه أكثر من مليار مسلم، والذي ظلت دولته تحكم أكثر العالم مدة تزيد على الألف عام، والدين الأكثر انتشاراً بشهادة التقارير الغربية، والدين الذي يقول عنه العالم الغربي والمستشرق المعروف مونتجومري وات في كتابه فضل الإسلام على الحضارة الغربية (١١٤) ضمن كلام له:(إن تأثير الإسلام في العالم المسيحي الغربي هو أضخم مما يظن عادة، فلم يقتصر دور الإسلام على تعريف أوروبا الغربية بالكثير من منتجاته المادية واكتشافاته التكنولوجية ولا على إثارة الأوروبيين بالعلوم الفلسفية، بل إنه دفع أوروبا إلى تكوين صورة جديدة لذاتها، وقد أدت مواجهة الأوربيين العدائية للإسلام إلى تهوينهم من أثر المسلمين في حضارتهم ومبالغتهم في بيان أفضال التراث الروماني واليوناني عليها ومن ثم فإنه من أهم واجباتنا معشر الأوربيين الغربيين – والعالم في سبيله لأن يصبح عالماً واحداً – أن نصحح هذه المفاهيم الخاطئة وأن نعترف اعترافاً كاملاً بالدَّين الذي ندين به للعالم العربي الإسلامي).

ويقول المسيو سيديو الوزير الفرنسي الأسبق في كتابه خلاصة تاريخ العرب: (لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطئت أقدامهم، وكانوا هم السبب في خروج أوربا من الظلمات إلى النور، إن الحرية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يعرف لها نظير في تاريخ العالم، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام)، ويقول عن ميثاق حرية الرأي والتعبير المدون في ميثاق حقوق الإنسان الذي أقرته الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م:(هذا النص وضع بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ...وضع على ورق لم ينفذه إلا عدد قليل من دول العالم ...بينما هذا النص نفذه المسلمون نصاً وحرفاً في كل حياتهم وخصوصاً في أيام خلفاء المسلمين في ضل الحضارة الإسلامية حتى زها العلم وارتقى في مجالاته المختلفة).

وإنه والله لمما يغمط الحقيقة العلمية ويتعارض مع قواعد الحكمة والإنصاف والعدل أن يقتصر الإنسان في تعرفه على هذا الدين العظيم بما يعرضه الإعلام العالمي عن هذا الدين، إن الذي يريد الوصول إلى الحقيقة العلمية المجردة والتعرف على هذا الدين على حقيقته فإن عليه أن يتعرف عليه من خلال كتبه ومصادره، أما إن تعرف عليه من

كتب أعدائه أو من طريق الإعلام الحاقد عليه فلا بد أن تعرض عليه الشبهات ويشوه وجه هذا الدين أمامه وفي ناظره، وقد قال المستشرق الإنجليزي توماس كارلايل في كتابه الأبطال وعبادة الأبطال: (لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب وأن محمدا خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا).

فالإنسان العاقل الذي لا يرضى لنفسه العار ينبغي عليه أن يتعرف على الإسلام عن قرب، وأن يأخذه من معينه الصافي لا من تشويه المغرضين، ولا من واقع بعض المسلمين وتطبيقهم القاصر لتعاليمه، فإن ذلك لهم ويعود عليهم والإسلام والحق للجميع، وبأخذ الإسلام من معدنه الصافي – القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة – يمكن وبعد نظرة تأملية ودراسة تأصيلية أن يحكم الإنسان السوي على الإسلام بعدل وصدق، ولكي أضع لبنة في هذا المشوار وأعين عليه، وحتى ينفتح الذهن ويتقد البصر والبصيرة أضع هذا العرض الإجمالي الموجز لمفاهيم أساسية عن دين الإسلام، وهو بحق عرض مختصر لا يمكن أن يفي بعظمة هذا الدين وسموه، ولكنه إشارة تكفي الحر اللبيب، وتفتح له الطريق وتنير له المسلك.

الإسلام يجعل العبد موصولاً بربه وخالقه في كل وقت، وفي كل حين من بدء يومه إلى نهايته ومن بدء عقله إلى موته، فلا يقتصر الأمر على يوم دون يوم، ولا وقت دون وقت، بل إن العبد موصول بربه في عباداته وعاداته ومعاملاته مع نفسه وأسرته ومجتمعه كل ذلك بلا واسطة أو شفاعة.

الإسلام دين الوحدانية والعقيدة الصافية فهو يأمر بعبادة الله واعتقاد وحدانيته، وأنه وحده هو الخالق الرب الملك الذي تصرف له جميع العبادات ولا يشرك معه غيره في أي من تلك العبادات {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة}.

وهو الدين الذي يحدد الهدف من خلق الإنسان {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، فالعبادة هي الهدف السامي الذي لأجله وجد هذا الكون ولأجله بعث الله الرسل، وهو الهدف الأليق بالإنسان الضعيف لربه والأليق بالله القوي العزيز، وهو الهدف الذي يجعل حياة الإنسان حياة كريمة عزيزة لا اضطراب فيها ولا تناقض، حياة سامية عن حياة الجمادات والبهائم، وحياة ذات غاية ومنهج بيِّن.

والإسلام يأمر المسلم أن يؤمن بالملائكة الكرام، وأن يحترم الرسل والأنبياء، ويؤمن بالكتب المنزلة عليهم، ويؤمن بيوم القيامة وهو يوم الجزاء والحساب، وبالجنة والنار، ويؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فإن ابتلي بشيء صبر وله الثواب وإن أكرم شكر وله الثواب فهو في الحالتين بين الحسنيين.

والإسلام دين الفطرة والعقل، فهو يوافق الفطرة السليمة والعقل الصحيح، ويوافق نواميس الكون القاضية بـأن لهذا الكون موجداً واحداً، وأن لهذا الكون والحياة والوجود غاية سامية وهدفاً نبيلاً، وإن من مفاخر الإسلام أنه مبني على العقل، وأنه يحث المسلمين على تفعيل طاقاتهم الفكرية وعلى النظر والتدبر ليكـون ذلـك وسـيلة للتصديق والإيمان، وإن الإسلام ليضع العقل البشري في موضعه اللائق به فلا يبخسه حقه ولا يمتهن قدره، كما أنه لا يزجه فيما لا مدخل له فيه.

والإسلام دين الوضوح والشفافية، فهو عقيدة واضحة، وشرائع واضحة، وأحكام واضحة، ومواقف واضـحة، ومنهج واضح، فلا خفاء ولا مواربة بل جلاء وظهور.

والإسلام دين الصلة، صلة العبد بربه كما سبق آنفا، وصلة العبد بالخلق، فهو يأمر بالاتصال مع الناس والعـيش معهم، والنزول إلى واقعهم، وعدم الاعتزال عنهم، فهو دين التعايش السليم والترابط المتين.

والإسلام يبني الروح ويجعلها علوية متصلة بخالقها، كما أنه يفرض للجسد ما لا يضر به، ويحرم على المسلم أن يضر نفسه أو يهلكها.

والإسلام دين العلم والعمل ولذا حث الإسلام على العلم ورفع مكانة العلماء وأوجب على الفرد في الإسـلام تعلم ما لا يسعه جهله من أمور الدين، قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم: {طلب العلم فريضة علـى كـل مسلم}، بل وأوجب على أمة الإسلام أن يقوم فيها من يكفي بتعلم كل علم مفيد سواء كان دينياً أو دنيوياً.

والإسلام دين الأخلاق فهو يأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما وخفض الجناح لهما والدعاء لهما، ويأمر بـصلة القرابة والأرحام واللين لهم وحسن الخلق معهم، ويأمر بالإحسان إلى المسلمين واحترامهم ومحبتـهم وحـسن التواصل معهم وعدم الإضرار بهم، ويأمر بالإحسان إلى البشرية واحترامهم والتواصل معهم ورحمتهم والعطـف عليهم ومحبة الخير لهم، ويأمر بإكرام الجار وحسن الأدب معه، ويأمر بالوفاء للأصحاب وحسن معاملتهم، ويأمر بالإحسان إلى الحيوانات والمخلوقات والرحمة بها والرفق بها.

ويأمر بمحاسن الأخلاق وينهى عن مساوئها، فيأمر بالعدل والتواضع والسماحة والرحمة، والعطف والإنـصاف للخلق، وستر عورات المسلمين والسعي لقضاء حوائجهم، ويأمر بالمحبة والحياء والسخاء والكـرم والـشجاعة والغيرة على الحق والمروءة وحسن السمت والحكمة والأمانة وحسن الظن والأناة والمبادرة إلى الخـير، ويـأمر بعيادة المريض واتباع الجنازة، وينهى عن الكبر والحقد والعجب والحسد والشماتة وسوء الظن والتشاؤم واليأس والبخل والغضب والإسراف والتبذير والكسل والجبن والمهانة والإضرار بالناس وقطع الاتصال بهم.

والإسلام دين العدل، العدل مع العدو والصديق والبعيد والقريب، عدل في النفس، وعدل في الأسرة، وعدل في المجتمع {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}، {ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} والشنئان هو البغض والعداوة.

والإسلام دين المحبة، محبة الله بالطريق الصحيح والمنهج السليم الملائم لغنى الرب وفقر العبد، لقوة الرب وضعف العبد، ومحبة الخلق بإضفاء روح الوئام والسلام بينهم والتعامل بالعدل والخلق السليم.

والإسلام دين السماحة، السماحة مع الأعداء، و السماحة مع الأصفياء، والسماحة في العبادة فلا رهبانية في الإسلام، والسماحة في التعامل مع الناس.

والإسلام دين الأخوة والمساواة كما قال الله تعالى:{يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، وقال محمد صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى).

ولذا فأنت ترى في الإسلام العربي والفارسي والهندي والحبشي والأوروبي والإمريكي وغيرهم من الأجناس كلهم كأسنان المشط لا فضل لأحدهم على أحد لا بنسب، ولا بحسب، ولا بلون، ولا بعرق، ولا بمنصب إلا بالتقوى، وتراهم يجتمعون كلهم بأميرهم ومأمورهم في صف واحد في الصلاة لا يتقدم أحدهم على أحد، ومهما اختلفوا في الفوارق الدنيوية يجمعهم الدين الواحد والأخوة والمحبة والمودة، فهل ترى مساواة كهذه المساواة؟وهل ترى عدلا بين البشر كهذا العدل؟وهل ترى هذا في دين من الأديان أو في ملة من الملل؟.

وحث الإسلام على عمارة الكون وعلى العمل لإقامة المجتمع القوي المتكامل، وحث أفراده ليكونوا أقوياء، وقد قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم:(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير).

والإسلام دين الوسطية فهو وسط بين حقوق الفرد ومتطلبات المجتمع، وهو وسط بين حق الروح وحق الجسد، فالإسلام يسمح للفرد بحقوقه وحرياته وبأن يعمل شريطة ألا يضر بالمجتمع أو بالآخرين فنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم يقول:(لا ضرر ولا ضرار)، ولذا حرم الإسلام الربا لما فيه من مضرة الآخرين وتضخم الأموال في جهة دون غيرها ولما فيه من مضرة المجتمع بأسره، وفي ذلك حفظ لحقوقه وحفظ لحقوق المجتمع.والإسلام دين الأسرة، فقد حث الإسلام على الزواج ورغب فيه من أجل إقامة الأسرة المسلمة، وقد قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم:(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج).

و لم يستثن الإسلام من ذلك أحداً فالعالم وغيره في ذلك سواء، وقد حث الإسلام على حسن المعاشرة، وكـــره الطلاق و لم يحرمه وأوجب على الزوج النفقة لزوجته ومعاشرتها بالمعروف والقيام بحقوقها وحمايتها وصـــيانتها، وأوجب على المرأة خدمة زوجها بالمعروف، وحث على الإنجاب والتربية الحسنة؛لأن في ذلك إقامة للمجتمـــع المؤمن.

و لم يبخس الإسلام المرأة حقها بل رعاها أتم رعاية، وقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم برفعتها وإكرامها في زمن اجتمع فيه المؤتمرون في أوربا ليبحثوا هل المرأة إنسان؟ وبعد بحث قرروا أنها إنسان، ولكن خلقت لخدمة الرجل وحده.

وأراحها الإسلام من مشقة العمل الشاق عليها وألقى إليها المسئولية المناسبة لها، فأوكل لها تربية النشء علـــى الأخلاق القويمة والفضائل السليمة وحثها على مراعاة ذلك لما فيه من إقامة المجتمـــع علـــى الأســـس الدينيـــة والاجتماعية المتينة، بل وأخبر أنها مسئولة عن ذلك فقال نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم:(المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها)، وحملها من الأعمال ما تطيق، فكانت في عصر النبـــوة تـــسقي المجاهـــدين وتخدمهم وتداوي الجرحى، وأبقاها في بيتها لتكون جنساً ناعماً، ولتكون جوهرة مصونة عن أيـــدي العـــابثين وأعين الذئاب المتلذذين، وماذا كسبت المرأة من دعوى الحرية المزعومة إلا أن صوبت إليهـــا أعـــين الرجـــال يتلذذون بمفاتنها، بل وأصبحت سلعة رائجة يتلاعب بها الرجال ويقضون منها وطرهم، حتى إذا أفرغوا نهمتهم أو تجاوزت المرأة السن المعتبر عندهم رموها في سلة المهملات واعتاضوا عنها بغيرها فالأسواق ملـــئ والـــثمن بخس، و لم يكتفوا بذلك بل سلبوها كل شيء حتى اسم عائلتها نسبوها إلى زوجها[1] وجعلوا ذلك هو حريتـــها فما الذي أبقوه لها من الحرية؟.

أما الإسلام فإنه يعتبرها كنزاً، ولذا صانها وأحسن معاملتها ووعدها بالأمر العظيم والثواب الكبير،وأمر الرجـــل بالإحسان إليها، وقد قال نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم:(خيركم خيركم لأهله)، بل إن الإسلام قدم المـــرأة الأم على الرجل الأب في بر الأولاد وإحسانهم، ففي السنة النبوية أن رجلا سأل النبي صلى الله عليـــه وســـلم: فقال من أحق الناس بحسن صحابتي؟ فقال صلى الله عليه وسلم:(أمك)، قال ثم من؟، قال:(أمك)، قال ثم مـــن، قال:(أمك)، قال ثم من قال:(أبوك).

ولقد حث الإسلام على الزواج، وحرم الزنا لما فيه من اختلاط الأنساب وضياع الأولاد وســـقوط المجتمعـــات وضياع الأموال والقوات وكثرة الأسقام والأمراض، والعصر شاهد على عظمة هذا الدين؟.

---

(١) هكذا كان الحال، أما الآن فقد رد إليها حقها وجعل اسمها لها في كثير من البلدان الغربية، ولكن بقيت بقية من تلك البلدان ما زالت على ذلك.

وخلاصة القول إن الإسلام دين العقائد الصحيحة الواضحة، والمعاملات الحكيمة النافعة، والأخـــلاق الجميلـــة الصالحة، والسلوك المنضبط المتزن، فهو منهج رباني جامع متكامل، يعمل على بناء الفرد و الأسرة والمجتمع مـــن منطلق الإيمان، وعلى أساس التكافل والتضامن والعدل والرحمة والإخاء الإنساني، وهو دعوة إلى بنـــاء مجتمـــع ومنهج حياة يقام لعبادة الله وإسعاد البشرية.

واستأذن القارئ السوي في أن أختم هذا العرض ببعض النقول التي تبين قيمة الإسلام وجوانب من عظمته عند بعض العلماء والكتاب الغربيين، والذين تحرروا من قيد الموروثات في النطق بقول كلمـــة الحـــق والإنـــصاف وسطروا إعجابهم بالإسلام لما رأوه من سمو القصد ونبل المنهج وعظمة الدين:

يقول د.جيرمانوس أستاذ الأدب العربي بجامعة بوخارست: (إنني شديد التعلق بالإسلام على الرغم من أني أوربي خال من كل دم دخيل وذلك لاعتقادي أن مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعي الذي يهدده لن يكون إلا في المزاوجة بين الحضارة بدرسها وعلمها وبين الروح الإسلامية التي تنطوي عليها عقائد الإسلام).

ويقول المستشرق الفرنسي كلوداتيان سافاري في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن:(أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافئ على الفـــضيلة ويعاقـــب علـــى الرذيلة).

ويقول المؤرخ الإنجليزي ويلز آن:(إن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هي الديانة الإسلامية، وإذا أراد إنسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع، فهو كتاب علمي ديني اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي، وأكثر أنظمته وقوانينه تستعمل حتى وقتنا الحالي وستبقى حتى قيام الساعة).

وقال الأستاذ مونته أستاذ اللغات الشرقية في كتابه محمد والقرآن:(إن الديانة الإسلامية كعقيدة توحيد ليس فيها شيء مجهول في ديانات التوحيد الأخرى).

يقول السير توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام:(لقد عامل المسلمون الظافرون المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول من الهجرة ونستطيع أن نقر أن من أعتنق الإسلام من المسيحيين إنما أعتنقه عن رغبة وإرادة).

ويقول واشنجتون ارفنج:(إن من أبرز صفات محمد التي حققت فوز الإسلام تسامحه مع خصومه ولسنا نعـــرف في التاريخ رجلاً كمحمد في هذا المضمار لقد تسامح في أوقات كان الزعماء في أمثالها ينكّلـــون بمـــن كـــانوا معارضين لهم تنكيلاً بشعاً ولكن تسامح محمد مع خصومه ومع معارضيه حقق له سيادة وتفوقـــاً علـــى كـــل الزعماء والقادة عبر القرون).

قال برنارد شو:(برهن الإسلام منذ ساعاته الأولى على أنه دين الأجناس جميعاً؛إذ ضم سلمان الفارسي وبلالاً الحبشي وصهيباً الرومي، كما ضم مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق).

ويقول الأستاذ ميلما الهولندي:(بالإضافة إلى الوحدانية والصلة المباشرة بين الله والخلق وإلى التسامح الإسلامي أدهشني مبدأ الأخوة في الإسلام، هذه الأخوة التي تشمل كل البشر بغير اعتبار للون أو جنس أو عقيدة، وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الذي طبق هذا المبدأ عملياً).

وبعد ذلك فهذا عرض مجمل وتعريف موجز بالإسلام، وهو عرض لا يفيه حقه، ولكنه إشارة تكفي الإنسان العاقل ليعرف طريق الحق، وتدفعه لأن يبذل جهده في التعرف عليه عن قرب لتطمئن إليه نفسه ويتعلق به قلبه.

وللقارئ أن يستزيد من المعرفة، وأن ينير طريقه عبر هذه المواقع في الشبكة العنكبوتية:

E/ www. al-sunnah. com

F ،E ،A/www. islam-qa. com

E/ www. cocg. org

A ،E/ www. sultan. org

E ،A/www. islam-online. net

E ،A /www. islamtoday. com

A /arabic. islamicweb. com

E /www. islam-guide. com

E /www. viewislam. com



خاتمة

وبعد هذا التأمل والتحاكم إلى العقل فعلى الإنسان العاقل أن يجيب بكل نزاهة بعيداً عن التعصب المقيت الذي لا يرتضيه صاحب العقل الحر:

أي الدينين أولى بالعقل؟ وأيهما يوافق العقل؟ وأيهما هو الحق المبين والصراط القويم؟ وأيهما أولى بالقبول والاتباع؟.

وأي الكتابين أولى بالتقديس؟ وأيهما أولى بأن يكون وحي الله؟ وأيهما أولى بالاتباع؟.

ومن هو الإله الحق؟ وما هو الدين الذي ينبغي أن يرسم منهج الحياة وهدفها؟.

وإني لأكفل له الإجابة ولعقله النزاهة شريطة أن يتجرد عن المؤثرات الموروثة والتعصبات المقيتة، ويجعل عقله هو الحكم، ووالله ما جاءت هذه الرسالة إلا لمحبة له أن يهديه الله طريق الصواب، وأن ينجو بنفسه من العذاب الدنيوي والجحيم الأخروي.

أيها القارئ إننا ينبغي أن نكون مشعل خير لهذه البشرية، وهداة حق لهؤلاء الغرقى ننتشلهم من براثن القلق والاضطرابات وننتزعهم من الهلاك المؤكد ونوصلهم إلى محبة الله الحق الذي يحب هداية عباده وتوبتهم ويجزيهم على ذلك خير الجزاء، ولكن لتكن البداية من أنفسنا فنصلحها ونهديها إلى طريق الإسلام الذي اتضح لكل إنسان عاقل بدليل العقل أنه خير الأديان وأسماها، وأنه الحق الذي لا ينبغي أن نحيد عنه، وحذار من مخالفة الحق والتعصب للباطل وتقليد الغير، فإن عيسى عليه السلام قد استنكر ذلك فقال:(لماذا تخالفون أنتم وصية الله من أجل المحافظة على تقاليدكم؟!) [متى ١٥:٣].

{قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون}، {وما يستوي الأعمى والبصير (١٩) ولا الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور (٢١) وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور (٢٢) إن أنت إلا نذير (٢٣) إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٢٤)}.

وإني لأدعو كل إنسان سوي أن يستند إلى ربه وخالقه وأن يسأله العون، وأن يرفع يديه وهو خاضع ذليل متباكياً لربه ومولاه ويسأله سبحانه بإلحاح وخشوع أن يهديه إلى الحق وأن يرشده إلى طريق

الهداية، وأن ينير له قلبه ويبعد الشيطان عن نفسه، وأن يدله على ما فيه النجاة مــن النــار والفــوز بالجنان.

وليقل اللهم رب جبرائيل وميكائيل عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وليقل اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعــه والباطل باطلاً وارزقني اجتنابه.

هذا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

للتواصل:

waled_wadan@hotmail. com

أو wfw1988@hotmail. com

أوwfwwfw@ gawab. com



الفهرس

